

دكتور
عبدالله جابر الكريّم

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أُسْكَنُ اللَّهُ الْفَرُوسَ

الْخِصَارُ سُمَةُ الْعَرَبِيَّةِ

مَكْتَبَةُ الْأَدَابِ

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة . ت : ٣٩٠٠٨٦٨

رفعى
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الْخِصَانُ سِمَةُ الْحَرَبِيَّةِ

تأليف
دكتور
عبد الله جابر الكري

الناشر
مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٣٩٠٠٨٦٨
البريد الإلكتروني: mail: adabook@hotmail.com

بطاقة فهرس

فهرسة اثناء النشر

اعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

ادارة الشئون الفنية

جاد الكريم ، عبد الله .

الاختصار سمة العربية / تاليف

عبد الله جاد الكريم . - ط ١ - القاهرة .

مكتبة الآداب ، ٢٠٠٦

١٤٨ ص ، ٢٤ سم .

تدمك ٦ ٨٠٩ ٢٤١ ٩٧٧

١ - اللغة العربية - اختصارات

أ . العنوان ٤١٠,١٤٨

رقم الايداع : ٢٢٩٠١ لسنة ٢٠٠٦

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

[سورة: يوسف، الآية (٢)]

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، اللهم صل وسلم
وبارك على سيدنا محمد الفائح لما أغلق والخاتم لمن سبق ؛ ناصر الحق بالحق
والهادي إلى صراطك المستقيم ، صلاة يا ربنا تفتح لنا أبواب الخير والتيسير ؛
وتغلق ما عدا أبواب الشر والتعسير ؛ وتكون لنا لها ولياً ونصيراً ، وأرض اللهم
بيت الأطنار ؛ وعلى أصحابه الأخيار ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين
وعنا معهم برحمتك يا عزيز يا غفار..... ثم أما بعد :

فقد شرفنا الله تعالى بالانتساب إلى خير الأمم ، وأرسل إلينا خاتم الرسل ،
حيث يقول الله تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١) ، ويقول تعالى : ﴿

أَخْرَجَتِ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢) .

ولفتنا العربية كغيرها من اللغات ؛ منوطاً بها القيام بمهام كثيرة ؛ كإحداث
التواصل بين من يتحدث بها ، ونقل أحاسيسهم ومشاعرهم.. الخ . والذي يذهب إليه

العلم : هو أن اللغة ظاهرة اجتماعية كسائر الظواهر الاجتماعية ، ومعنى هذا أنها
صنع المجتمع الإنساني (٣) ، حيث "لا تلبث الدلالات الصوتية ، والصرفية ، والنحوية
— بعد المران الكافي — أن تحل من المتكلم والسامع منطقة الأشعور أو شبه الشعور
يراعيتها بطريقة تكاد تكون آلية بدون جهد أو عناء كبير ، وتلك هي المرحلة
التي يعرفها اللغويون بالسليقة اللغوية (٤) .

(١) سورة الشعراء ، الآية (١٩٥) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .

(٣) ينظر : علم اللغة لمحمد السعران ، (ص ٥٢) .

(٤) ينظر تفاصيل ذلك في : دلالة الألفاظ ؛ لإبراهيم أنيس ، وعلم الدلالة ؛ لأحمد مختار عمر .

ويرى المستشرق آرنست رينان أن "أغرب ما وقع في تاريخ البشر ، وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء ، فبدأت فجأة في غاية الكمال سلسلة أي سلاسة ، غنية أي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ يومها أي تعديل مهم"^(١). وهذا الكمال وبالسّمات الأخرى للغة العربية فضلها الله ﷻ ، فـ "عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمد ﷺ أنزلها "قرأنا عربياً"، وعن ذلك يقول جلّ جلاله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٢) ، والله يقول لنبيه: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾^(٣). وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية ، وليست مترتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها علي ما أوضع الله في سائر اللغات من قوة وبيان ، أمّا السعة فالأمر فيها واضح ، ومن يتبع جميع اللغات لا يجد فيها علي ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية ، ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات ، وتزيين الدقة و جازة التعبير لغة العرب . وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز ، وإنما بها من كنايات و مجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى . وللغة العربية خصائص جمّة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أي لغة أخرى ، وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني ، وفي النقل إليها ، يبين ذلك أن الصورة العربية لأي مثل أجني أقصر في جميع الحالات"^(٤).

ويقول ابن الأثير "اللغة العربية سيدة اللغات ؛ فهي أشرفهن مكاناً ، وأحسنهن

(١) ينظر: الفصحى لغة القرآن ، لأنور الجندي ، (ص ٣٠٧) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٢) .

(٣) سورة مريم : الآية (٩٧) .

(٤) ينظر : الفصحى لغة القرآن ، لأنور الجندي ، (ص ٣٠٢) .

وضعا ، وذلك لأنها جاءت آخرًا فنفت القبيح من اللغات من قبلها ، وأخذت الحسن ، ثم إن واضعها تصرّف في جميع اللغات السالفة ، فاختصر ما اختصر وخفّف ما خفّف^(١) . ولذلك فإن اللغة العربية هي أرقى اللغات السامية كما يقرر دارسو تلك اللغات ، فلا تُعادِلها اللغة الآرامية ، ولا العبرية ولا غيرها من هذا الفرع السامي ، وهي كذلك أرقى لغات العالم ، فهي تمتاز بمرونتها ، وسعة اشتقاقها ، وما بها من المعاني المجازية والقلب والإبدال والنحت ،... الخ . وتمتاز اللغة العربية بكثير من السمات والميزات — كما مرّ — كمرونتها وسعتها وميلها إلى الإيجاز والاختصار ، والبعد عن التعقيد اللفظي والإطناب والاسترسال فيما لا يفيد المعنى وغير ذلك ، وظاهرة الاختصار في الدرس اللغويّ بعامّة والنحويّ والصرفيّ بخاصّة من الظواهر المهمة التي أرى أنّها بحاجة إلى دراستها وبحثها ، وتأملها في دراسة خاصة بها ، تتناول الكثير من قضايا الاختصار ومسائله ، " فالنحو ليس مجرد قاعدة تطبّق ؛ بل بحثٌ في معاني التراكيب وأسرار حسناتها وقوتها ، وإن كان النحو ينطلق من المباني للوصول إلى غايته من المعاني^(٢) " .

ولقد أدرك العلماء العرب أهمية ظاهرة الاختصار وحجمها ، فالسيوطي يرى أن "الاختصار هو حلٌ مقصود العرب ؛ وعليه مبني أكثر كلامهم"^(٣) ، ويؤكد البغدادي على ذلك قائلاً : " فغالِبُ كلام العرب مبنيٌّ على الإيجاز والاختصار "^(٤) . ولقد أولى العلماء واللغويون العرب هذه الظاهرة عناية فائقة — كما سنرى — وتأتي دراستنا مُتممة لما سبقها على الدَّرب ، ولبنة في بناء صرح لغتنا العربية .

(١) المثل السائر لابن الأثير (٢٠٦ / ١) .

(٢) الأصول ، لتمام حسان (ص ٣٤٩ ، ٣٨٢)

(٣) الأشباه (٥١ / ١) .

(٤) خزانة الأدب (٢٧٤ / ٢) .

وستعتمد هذه الدراسة بإذن الله تعالى على آراء النحاة والصرفيين القدماء والمحدثين دون وقف على مدرسة بعينها ، ودون الدخول في خلافات نحوية أو صرفية مُعقَّدة لا طائل من ورائها ، وكذلك ستلجأ الدراسة بإذن الله تعالى إلى استخدام عدَّة مناهج لغوية معتبرة كالمنهج التحليلي و النقدي والتاريخي والتقابلي ؛ وذلك للوصول إلى ما تصبو إلى تحقيقه من أهدافٍ ونتائج . وسيأتي هذا الكتاب بإذن الله تعالى في "أربعة فصول" يسبقها مدخل وتمهيد ، وذلك على النحو التالي :

— المدخل : وهو يشتمل على أسباب تأليف هذا الكتاب .

— التمهيد : وهو يشتمل على تعريف الاختصار لغةً واصطلاحًا ، وتاريخ ظهور مصطلح الاختصار وتطوره عند النحاة والعلماء ، والدراسات السابقة .

وتتوالى فصول الكتاب الثلاثة على النحو التالي :

* الفصل الأول : [روافد الاختصار ومظاهره ووسائله] .

* الفصل الثاني : [أسباب الاختصار ونتائجه وضوابطه] .

* الفصل الثالث : [شواهد الاختصار في أبواب النحو والصرف] .

* الفصل الرابع : [الاختصار في ميزان أصول النحو العربي] .

— الخاتمة : وتشتمل على ملخص لأهم نتائج الدراسة .

والله تعالى أسأل أن تكون هذه الدراسة لبنة قوية في صرح مكتبتنا اللغوية العربية ، وأن ينفع بها مَنْ شاء ، والله من وراء القصد ، ﴿ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ . [سورة هود ، الآية : ٨٨] .

دكتور : عبد الله أحمد جاد الكريم

المدخل

أسباب تأليف هذا الكتاب

التأليف في اللغة العربية ودراساتها واجبٌ مُحِبٌّ وشرفٌ لفاعله ، ولقد دفعني إلى تأليف هذا الكتاب الكثير من الأسباب ، وألخصُ هنا بعض الأسباب التي جعلتني أشرع في كتابة هذا الكتاب ، وليعذرني القارئ الكريم على الإطناب والإسهاب في هذا المدخل ؛ على الرغم من أننا ندرس معاً الاختصار في اللغة العربية ؛ فالحديث باللغة العربية وعنهما ذو شجن ، فأرجو المذرة ، ومن المعروف أن "التأليف على سبعة أقسام لا يؤلف عاقل إلا فيها... ومنها شيءٌ متفرقٌ فيجمعُهُ" (١)، وهذا الأمر واحدٌ من عدة أسباب جعلتني أقدم على تأليف هذا الكتاب ، ومن هذه الأسباب ما يأتي :

أولاً : القيام بواجبي للدفاع عن لغة القرآن الكريم

تعرض لغتنا العربية وديننا الحنيف لحملات شرسةٍ من أجل تحريفهما أو التئيل منهما ؛ ومن ثمَّ تقويض أركانهما ، ولذلك فإنَّ أول سببٍ جعلني أقومُ بكتابة هذا الكتاب هو المحاولة المخلصة للقيام بواجبي تجاه لغتي التي أهلُّ من شرفها ، وأعتزُّ بانتسابي لأبنائها ؛ لأنها "هي التي فضَّل الله بها العرب وأنطقهم بها" (٢)، حيث يقول الله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣). وفي هذا الشأن يقول ابن جني : "إنَّ اللغةَ العربيَّةَ لغةُ نبيِّك التي فضَّلها الله ﷻ على سائر اللغات ، وفرعت بها فيه سامي الدرجات" (٤).

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة (المقدمة) (٣٦/١) .

(٢) الإيضاح للزجاجي ، تح : مازن المبارك ، ط مكتبة العروبة ١٩٥٩ م ، (ص ٩١)

(٣) سورة يوسف ، الآية (٢) .

(٤) المحتسب (٣٢/١) .

حيث يقول الله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ

قَوْمًا لَّدَا ۝ ﴾^(١). ويقول الله تعالى ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝ ﴾^(٢) ، فكان لزاماً عليّ أن

أقوم بواجبي لدراسة لغتي ؛ ونشرها وكشف الغبار عن كاهلها؛ والدفاع عنها ضدّ الحاقدين والجاهلين بقدرها . ويقول الزمخشري : "ولعلّ الذين يعضّون من العربية ، ويضعون من مقدارها ، ويريدون أن يخفّضوا ما رفع الله من منارها ؛ حيث لم يعمل ﷺ خيرَ رُسله وخيرَ كتبه في عجم خلقه ؛ ولكن في عربيّه ، لا يتعدّون عن الشُعوبية مُنابذةً للحقّ الأبلج ، وزيفاً عن سِواءِ المنهج ، والذي يقضي منه العجبُ حالَ هؤلاء في قلةِ إصنافهم وفُرطِ جورهم واعتسافهم"^(٣). وفي هذا الشأن يقول **التعالِي** : "مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى أَحَبَّ مُحَمَّدًا ﷺ ، وَمَنْ أَحَبَّ الرَّسُولَ الْعَرَبِيَّ أَحَبَّ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي نَزَلَ بِهَا أَفْضَلُ الْكُتُبِ عَلَى أَفْضَلِ الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبِيَّةَ عَنِ بَها ، وَثَابَرَ عَلَيْهَا ، وَصَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَيْهَا ، وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَيْرُ الرُّسُلِ ، وَالْإِسْلَامَ خَيْرُ الْمِلَلِ ، وَالْعَرَبَ خَيْرُ الْأُمَمِ ، وَالْعَرَبِيَّةَ خَيْرُ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسِنَةِ ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى تَفْهَمِهَا مِنَ الدِّينَانَةِ ؛ إِذْ هِيَ ذَاتُ الْعِلْمِ ، وَمِفْتَاحُ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ ، وَسَبَبُ إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ ، ثُمَّ هِيَ لِأَخْرَازِ الْفَضَائِلِ ، وَالِاحْتَوَاءِ عَلَى الْمَرْوَةِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَنَاقِبِ"^(٤).

ففي الدفاع عن العربية ودراستها دفاعٌ عن الإسلام والقرآن ، فالقرآن هو الذي حافظ على اللغة العربية ، يقول المستشرق الألماني بروكلمان : "بَلَّغَتِ الْعَرَبِيَّةُ بِفَضْلِ الْقُرْآنِ مِنَ الْاِتِّسَاعِ مَدًى لَا تَكَادُ تَعْرِفُهُ أَيُّ لُغَةٍ أُخْرَى مِنْ لُغَاتِ الْعَالَمِ ، .. وَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا مُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْعَرَبِيَّةَ وَحْدَهَا اللِّسَانُ الَّذِي أَحْلَلْ لَهُمْ أَنْ يَسْتَعْمِلُوهُ فِي

(١) سورة مريم ، الآية (٩٧) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٩٥) .

(٣) المفصل (١٨/١) (مقدمة المؤلف) .

(٤) ينظر : مقدمة فقه اللغة .

صلاقم" (١) .

وقال جوستاف جرونباوم : "عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله مُحَمَّدٍ أَنْزَلَهَا "قَرَأْنَا عَرَبِيًّا" ، والله يقول لَنَبِيِّهِ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرَتْنَاهُ بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ (٢) ، وما مِنْ لُغَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطَاوِلَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي شَرَفِهَا ، فَهِيَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي أُخْخِرَتْ لِتَحْمِلَ رِسَالَةَ اللَّهِ النَّهَائِيَّةَ ، وَلَيْسَتْ مِثْلَهَا الرُّوحِيَّةُ هِيَ وَحْدَهَا الَّتِي يَسْمُو بِهَا عَلَى مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي سَائِرِ اللُّغَاتِ مِنْ قُوَّةٍ وَبَيَانٍ ، أَمَّا السَّعَةُ فَالْأَمْرُ فِيهَا وَاضِحٌ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ جَمِيعَ اللُّغَاتِ لَا يَجِدُ فِيهَا عَلَى مَا سَمِعَتْهُ لُغَةُ تَضَاهِي اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ ، وَيُضَافُ جَمَالَ الصَّوْتِ إِلَى ثَرَوَتِهَا الْمُدهِشَةِ فِي الْمُرَادِفَاتِ (٣) .

وَتُرَيْنِ الدِّقَّةُ وَوَجَازَةُ التَّعْبِيرِ لُغَةُ الْعَرَبِ ، وَتَمْتَازُ الْعَرَبِيَّةُ بِمَا لَيْسَ لَهُ ضَرِيبٌ مِنَ الْيُسْرِ فِي اسْتِعْمَالِ الْجَازِ ، وَإِنْ مَا بِهَا مِنْ كُنَايَاتٍ ، وَجَازَاتٍ ، وَاسْتِعَارَاتٍ لِيَرْفَعَهَا كَثِيرًا فَوْقَ كُلِّ لُغَةٍ بَشَرِيَّةٍ أُخْرَى ، وَلِلُّغَةِ خَصَائِصٌ جَمَّةٌ فِي الْأَسْلُوبِ وَالتَّخْوِيلِ لَيْسَ مِنَ الْمُسْتَطَاعِ أَنْ يُكْتَشَفَ لَهُ نَظَائِرُ فِي أَيِّ لُغَةٍ أُخْرَى ، وَمَعَ هَذِهِ السَّعَةِ وَالْكَثْرَةِ فَإِنَّهَا أَخْصَرَ اللُّغَاتِ فِي إِصْصَالِ الْمَعَانِي وَفِي النُّقْلِ إِلَيْهَا ، وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ الصُّورَةَ الْعَرَبِيَّةَ لِأَيِّ مِثْلِ أَجْنَبِي أَقْصَرُ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ .

وقال المستشرق فولدكة عن العربية وفضلها وقيمتها : "إِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لَمْ تَصِرْ حَقًّا عَالَمِيَّةً إِلَّا بِسَبَبِ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ ، وَقَدْ وَضَعَ أَمَامَنَا عِلْمَاءُ اللُّغَةِ الْعَرَبِ بِاجْتِهَادِهِمْ أَبْنِيَةَ اللُّغَةِ الْكَلَّاسِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ مَفْرَدَاتُهَا فِي حَالِ كَمَالٍ تَامٍ ، وَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَزْدَادَ تَعَجُّبُ الْمَرْءِ مِنْ وَفَرَةِ مَفْرَدَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، عِنْدَمَا يَعْرِفُ أَنَّ عِلَاقَاتِ الْمَعِيشَةِ لَدَى الْعَرَبِ بَسِيطَةٌ جَدًّا ، وَلَكِنَّهُمْ فِي دَاخِلِ هَذِهِ الدَّائِرَةِ يَرْمِزُونَ لِلْفَرْقِ الدَّقِيقِ فِي الْمَعْنَى بِكَلِمَةٍ خَاصَّةٍ ، وَالْعَرَبِيَّةُ الْكَلَّاسِيَّةُ لَيْسَتْ غَنِيَّةٌ فَقَطْ بِالْمَفْرَدَاتِ

(١) ينظر : من قضايا اللغة العربية المعاصرة ، (ص ٢٧٤) .

(٢) سورة مريم ، الآية (٩٧) .

(٣) ينظر : الفصحى لغة القرآن ، لأنور الجندي (ص ٣٠٦) .

ولكنها غنية أيضاً بالصيغ النحوية ، وتتمم العربي بربط الجمل ببعضها... وهكذا أصبحت اللغة (البدوية) لغة للدين والمنتديات وشؤون الحياة الرفيعة ، وفي شوارع المدينة ، ثم أصبحت لغة المعاملات والعلوم ، وإنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ غَالِباً جِداً ما يتلو يومياً في الصلاة بعضَ أجزاءٍ من القرآن ، ومعظم المسلمين يفهمون بالطبع بعض ما يتلون أو يسمعون ، وهكذا كان لا بد من أن يكون لهذا الكتاب من التأثير على لغة المنطقة المُتَّسِعَةِ ما لم يكن لأيِّ كتابٍ سِوَاهُ في العالم ، وكذلك يُقَابِلُ لغة الدين ولغة العلماء والرجل العادي بكثرة ، ويؤدي إلى تغيير كثير من الكلمات والتعابير في اللغة الشعبية إلى الصحة (١) .

ويعترف الفيلسوف الألماني رانكه بـ "أن الثقافة الإنسانية ، تعتمد على لغتين كلاسيكيتين ، هما : العربية واللاتينية . وبينما اشتقت اللغات الغربية من اللاتينية ، فقد نفتت اللغة العربية في الشرق روحاً فنية ، ولا يمكن فهم المصنفات الأدبية ، الفارسية والتركية ، بدون العودة إلى الكلمات العربية ، وخاصة أن وحي القرآن الكريم الذي لا يُجارى ، يُعَدُّ - بلا مرأى - أساسُ العقيدة الإنسانية ، والثقافة البشرية " (٢) .

والله إنَّ لغةً مثل هذه اللغة من الفخامة والراقي والشرف والعظمة لأحقُّ أن ندرسها ونذود عنها بكل ما نملك من غالٍ ونفيس .

ويفار ريتشارد كريستيل على اللغة العربية قائلاً : "إنَّه لا يعقل أن تحلَّ اللغة الفرنسية ، أو الانجليزية محلَّ اللغة العربية . وإنَّ شعباً له آداب غنية ، متنوعة ، كالآداب العربية ، ولغة مرنة ، ذات مادة لا تكاد تفتن ، لا يخون ماضيه ، ولا ينبذ إرثاً ورثه ، بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده" (٣) .

(١) ينظر : اللغة العربية لنذير حمدان ، (١٣٣) .

(٢) ينظر : مقال " اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين " لإدريس بن الحسن العلمي

(٣) المرجع السابق .

ثانياً : الردُّ على المُنتقِدين أو الحاقدين أو الجاهلين :

السَّبَبُ الثاني من أسباب تأليف هذا الكتاب عن اللغة العربية هو محاولة التصدي للمتقدين أو الحاقدين أو الجاهلين ؛ سواءً من الغرباء أم من بني جلدتنا ، فكثيرٌ منهم يطعن في اللغة العربية ؛ فمنهم مَنْ قال : إنَّ اللغة العربية سببٌ في تخلف العرب وتردي أحوالهم ؛ وهي التي تبعدهم عن العلوم والتقدم والرقي ، ومنهم مَنْ حارها وحارب علومها ؛ فقال : النحو العربي علم جافٌ ومعقدٌ لا طائل من ورائه ، وطالب بإلغاء كثير من أبوابه بحجة تيسيره ، ومنهم مَنْ طالب باعتماد اللهجات العامية بدلاً من الفصحى ، ومنهم مَنْ طالب بإحلال اللغات الغربية الأجنبية بدلاً من العربية ؛ لنقل العلوم والمعارف لزعمهم الخاطيء أن العربية عاجزة عن أداء هذا السُّدُورِ(١) ، والغريب فيما سبق من أباطيل أن بعضَ أبناءِ العربية المُقلِّدينَ لغيرهم من دون تفكير يطالبون بمثل هذه الافتراءات سواءً عن جهل أم تعمد !! ، وأسوق هنا أقوالاً لعلماء غربيين نطقوا بالحقّ ونزهوا أنفسهم — وهم قليلٌ في أيامنا — وقد دحضوا ما ينادي به أبناء جلدتهم من علماء الغرب ومَنْ شابعهم من المرجفين من أبناء العربية تجاه العربية وأبنائها ، وكما قال الشاعر:

"والحقُّ ما شَهِدَتْ بِهِ الأعداءُ"(٢)

يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون : " استطاعت العربية أن تُبْرِزَ طاقة الساميين في معالجة التعبير عن أدقِّ خلجات الفكر سواء كان ذلك في الاكتشافات العلمية والحسابية ، أو وصف المشاهدات ، أو خيالات النفس وأسرارها . واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي والفني والصوفي ، إنَّ التعبيرَ

(١) ينظر : كتابي (الدرس النحوي في القرن العشرين)، الفصل الثاني (اللغة العربية والنحو في القرن العشرين)، ط مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠٠٤م ، (ص ١٠٥-١٥٠) .

(٢) ولذلك سيلاحظ القارئ الكريم اعتمادي كثيراً على ما قاله علماء الغرب عن اللغة العربية ، وفي ذلك إنصافٌ لبعضهم ودحضٌ لأراء الحاقدين على اللغة العربية من بني جلدتهم ومَنْ شابعهم مِنْ بني جلدتنا !! .

العلمي الذي كان مُستعملاً في القرون الوسطى لم يتناوله القَدَمُ ؛ ولكنه وقف أمام تَقَدُّمِ القوى المادية فلم يتطور . أمّا الألفاظُ المُعَبَّرَةُ عن المعاني الجدلية والنفسانية والصوفية فإنه لم يحتفظ بقيمتها فحسب ، بل تستطيع أن تؤثر في الفكر الغربي وتنشطه . ويقول الأستاذ فتحيو : "قد صارت العربية لغة دولية للتجارة والعلوم" (١) ، واعترف البارون كارادوفو مؤلف " مفكرو الإسلام " وهو مسيحي مُتَحَمِّسٌ ، بأن الإسلام علَّم المسيحية منهجاً في التفكير الفلسفي ، هو ثمرة عبقرية أبنائه الطبيعية ، وأنَّ مُفكرِي الإسلام نظموا لغة الفلسفة الكلامية التي استعملتها المسيحية ، فاستطاعت بذلك استكمال عقيدتها جوهرًا وتعبيرًا (٢) .

ويشهد سينجلر : "أن اللغة العربية قامت بدور أساسي كوسيلة لنشر المعارف ، وآلة للتفكير في خلال المرحلة التاريخية التي بدأت حين احتكر العرب - على حساب الرومان واليونان - طريق الهند" (٣) . وعَبَّرَ الأستاذ ماسنيون عن نفس الفكرة قائلاً : "إنَّ المنهاج العلمي قد انطلق ، أول ما انطلق ، باللغة العربية ، ومن خلال العربية في الحضارة الأوربية . إنَّ العربية استطاعت بقيمتها الجدلية ، والنفسية ، والصوفية ، أن تُضفيَ سربالَ الفُتُوَّةِ على التفكير الغربي" (٤) .

ويسروي لنا الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله (٥) " أن اللغة العربية أصبحت في العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون ، بل أصبحت لغة دولية للحضارة . ففي عام ١٢٠٧م لوحظ وجود معهد في جنوب أوروبا لتعليم

(١) ينظر : مقال " اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين " لإدريس بن الحسن العلمي ، موقع " صوت العربية " على شبكة المعلومات الدولية ، بتاريخ ٣ / ٧ / ٢٠٠٦ م .

(٢) من بحث للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، منشور في مجلة " اللسان العربي " ، بعنوان : " اللغة العربية وتحديات العصر " ، بالعدد الصادر في السنة ١٩٧٦ م .

(٣) ينظر : مقال " اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين " .

(٤) المرجع السابق نفسه .

(٥) عضو أكاديمية المملكة المغربية والأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي سابقاً .

اللغة العربية. ثم نظم المجمع المسيحي بعد ذلك تعليمها في أوروبا، وذلك بإحداث كراسي في كبريات الجامعات الغربية .

وفي القرن السابع عشر اهتمت أوروبا الشمالية والشرقية اهتماماً خاصاً بتدريس اللغة العربية ونشرها. ففي ١٦٣٦م قررت حكومة السويد تعليم العربية في بلادها. وعند ذلك الحين انصرفت السويد إلى طبع ونشر المصنفات الإسلامية، وبدأت روسيا تعتني بالدراسات الشرقية والعربية على الخصوص في عهد البطرس الأكبر الذي وجه إلى الشرق خمسة من الطلبة الروسين . وفي عام ١٧٦٩م قررت الملكة كاترينا إجبارية اللغة العربية . وفي عام ١٨١٦م أحدث قسم اللغات السامية في جامعة بتروكراد . ولاتزال اللغة العربية — في القرن العشرين والحادي والعشرين — تضيف فتوحات إلى ما سبق في كل دول العالم غير العربية وجامعاتها كاستراليا وأمريكا واليابان وغيرها ؛ وذلك لدراسة اللغة العربية والوقوف على أسرارها .

ثالثاً : تَذَكِيرُ أُنْبَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَهْمِيَّةِ لُغَتِهِمْ

لقد هممت لدراسة هذه السمة من سمات العربية ؛ لا لأني مُتَفَرِّدٌ في هذا الأمر وإنما من باب التذكير ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) . واللغة العربية دورها مهم وبارز وقد سبقت كثيراً بمن تحدث عن هذا الأمر ، ومن ذلك ما قاله ابن فارس أن "العربية أفضل اللغات وأوسعها"^(٢) ويرى ابن الأثير أن "العربية سيدة اللغات ؛ فهي أشرفهن مكانة ، وأحسنهن وضعاً ؛ وذلك لأنها جاءت آخرًا فنفت القبيح من اللغات من قبلها ، وأخذت الحسن ، ثم إن واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة ، فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف .."^(٣) ، وقال المستشرق

(١) سورة الذاريات ، الآية (٥٥) .

(٢) الصاحي ، تع : السيد صفّر ، (ص ١٦) .

(٣) المثل السائر لابن الأثير (٢٠٦/١) (بتصرف)

الألماني يوهان فلك : "إنَّ العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة ؛ وهي أنَّها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية ، ولقد برهن جيروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المُسيطر ، وإذا صدقت البوادر ولم تُخطئ الدلائل فستحفظ العربية بهذا المقام العتيق من حيث هي لغة المدينة الإسلامية (١) . ويقول جورج ريفوار : إنَّ نفوذ العربية أصبح بعيد المدى، حتَّى أنَّ جانباً من أوربا الجنوبية أيقن بأنَّ العربية هي الأداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب . وأنَّ رجال الكنيسة اضطروا إلى ترجمة مجموعاتهم الدينية إلى العربية لتسهيل قراءتها في الكنائس الإسبانية ، وأنَّ "جان سيفل" وجد نفسه مضطراً إلى أن يحرق بالعربية معارض الكتب المقدسة ليفهمها الناس . ويهيب فولفونسن في كتابه "تاريخ اللغات السامية" بالمشاركة "المتكلمين بلغة الضاد ، إلى درس فقه اللغات السامية ، للاقتناع بعظمة أجدادهم ، وبالدور الذي قاموا به في حضارة العالم القديم !! ثم أكد أنَّ المستشرقين الذين نددوا بالعروبة ، وبالإشعاع العربي ، لم يهدفوا إلا لغايات دينية ، واستعمارية" (٢) .

وأرجو من أبناء العربية أن يغاروا على لغتهم كما يغار ريتشارد كريستفيل على اللغة العربية قائلاً : "إنَّه لا يعقل أن تحلَّ اللغة الفرنسية ، أو الانجليزية محلَّ اللغة العربية . وإنَّ شعباً له آداب غنية ، متنوعة ، كالأدب العربية ، ولغة مرنة ، ذات مادة لا تكاد تفتن ، لا يخون ماضيه ، ولا ينبذ إرثاً ورثه ، بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده" (٣) ، فكيف بالله نُسلِّم لغتنا للضياع والانحراف إتباعاً لأهواء ضالين ومضلين من علماء الاستعمار ومن شايعهم !!؟

(١) ينظر : الفصحى لغة القرآن ، لأنور الجندي ، (ص ٣٠١) .

(٢) ينظر : مقال "اللغة العربية وتحديات العصر" .

(٣) ينظر : مقال " اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين " لإدريس بن الحسن العلمي

رابعاً : كَشَفُ وَدِرَاسَةُ أَهَمِّ سِمَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

للغة العربية العديد من السمات التي تسميها بل وتتفرد بكثير منها ، وبما أن الاختصار من أهم سماتها لذا أثرت دراسته دراسة مُستقلة ، مُعرِّفاً بهذه السمة وموضحاً مظاهرها وشواهداها ، وجامعاً لشواردها ، ومحاولاً معرفة أسبابها ونتائجها وضوابطها ، .. الخ .

وأترك القارئ الكريم ليعرف الكثير عن باقي سمات اللغة العربية وخصائصها ، وسأفصل القول فيما بعد عن الاختصار فهو مناط دراستنا .

ويتعجب أرنست رينان من أمر اللغة العربية فيقول في كتابه (تاريخ اللغات السامية) : " من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية ، وتبلغ درجة الكمال ، وسط الصحاري ، عند أمة من الرُّحُل ، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها . ولم يُعرف لها في كُلِّ أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة . ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها ، وانتصاراتها التي لا تُبارى ، ولا نعرف شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدريج ، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة وهذه ظاهرة عجيبة ، لاسيما إذا اعتبرنا مدى مساهمة الفلسفة الإسلامية في تكوين علم الكلام ، خلال القرون الوسطى ، والدور الذي قام به في ذلك كل من ابن سينا وابن رشد ، وما كان لهما من تأثير على أشهر "مفكري المسيحية" (١) ، وقال إغناطيوس كراتشوفسكي : "أول ما نلاحظه من أول نظرة نلقيها على هذه اللغة - أي العربية - الغنى العظيم في الكلمات ، والإتقان في الشكل ، والليونة ، والتركيب" (٢) .

ويؤكد الكثير من العلماء العرب على أن اللغة العربية تمتاز عن سائر أخواتها اللغات السامية وعن سائر لغات البشر بوفرة كلماتها حتى قال السيوطي في (المزهر) إن

(١) لا دريس بن الحسن العلمي

(١) ينظر : مقال " اللغة العربية وآراء المفكرين

(٢) المرجع السابق نفسه .

المستعمل والمهجور منها يبلغ عدده ٧٨,٠٣١,٣١٢ ، والزبيدي يقول في "تاج العروس": "إن الصحيح يبلغ ٦,٦٢٠,٠٠٠ ، والمعتل يبلغ ٦,٠٠٠ كلمة ، وذكر أيضاً أن كتابه حوى ١٢٠,٠٠٠ كلمة. وعدا وفرة المفردات فإنها ذات اطراد في قياس أبنيتها... وتمتاز بتنوع أساليبها وعذوبة منطقتها ، ووضوح مخارجها ووجود الاشتقاق في كلماتها . ومن خواص اللغة العربية ومميزاتها أنها أوسع ثروة في أصول الكلمات والمفردات من أخواتها اللغات السامية . هذا ، إلى أنه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة : اسمها وفعلها وحرفها ، ومن المترادفات في الأسماء والأفعال والصفات ما لم يجتمع مثله في لغة أخرى .

وكتب الأستاذ عبد الرحيم السائح من جامع الأزهر في مقال له : " اللغة العربية خصائص ومميزات برزت بها غيرها ، لا تدانيها فيها لغة من اللغات..إن طريقة توليد الألفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسماً حياً تتوالد أجزاؤه ويتصل بعضها ببعض ، بأواصر قوية واضحة وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لا بد منها لو عدم الاشتقاق . وأن هذا الارتباط بين ألفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة ، وهي الحروف والأصوات الثلاثة ، وثبات قدر من المعنى ، سواء كان مادياً ظاهراً أو محتفياً مستتراً ، خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة تُشعرُ متعلمها بما بين ألفاظها من صلات حية تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي، وأن طريقته حيوية توليدية وليست آلية جامدة" (١) .

ولذلك يقول بروكلمان : "معجم العربية اللغوي لا يجاريه معجم في ثرائه".

وفي رأي الدكتور أحمد شفيق الخطيب "أن اللغة العربية تتميز بمرونة ومطواعة فائقة ، تُيسرُ صياغة الألفاظ الدقيقة التعبير، والواضحة الدلالة بحيث أن وزن اللفظة كثيراً ما يحدد مدلولها : إن كان اسم آلة ، أو اسم مكان ، أو زمان ، أو اسم هيئة ،

(١) ينظر : مقال " اللغة العربية وآراء المفكرين العرب " لإدريس بن الحسن العلمي ، موقع " صوت العربية "

" على شبكة المعلومات الدولية ، بتاريخ ٢٠٠٦ / ٧ / ٣ م .

أو مرة أو اسم فاعل ، أو مفعول ، أو اسم تفضيل ، أو صفة مشبهة ، أو مصدرًا ، أو صيغة مبالغة ، أو تصغير ، إلى غير ذلك مما ليس له نظير في اللغات الأخرى" (١) .

ويصف فيكتور بيرار اللغة العربية في القرن الرابع الهجري ، بأنها أغنى ، وأبسط ، وأقوى ، وأرق ، وأمتن وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة . فهي كنز يزخر بالمفاتيح ، ويفيض بسحر الخيال ، وعجيب المجاز ، رقيق الحاشية مهذب الجوانب ، رائع التصوير. وأعجب ما في الأمر أن البدو كانوا هم سدنة هذه الذخائر ، وجهابذة النثر العربي جبلة وطبعا . ومنهم استمد كل الشعراء ثراءهم اللغوي وعبقريتهم في القريض" (٢) . وقد أكد المؤرخ " دوزي " " أن أهل الذوق من الإسبان بهرهم نصاعة الأدب العربي واحتقروا البلاغة اللاتينية ، وصاروا يكتبون بلغة العرب الفاتحين" (٣) . ويعترف فريتاغ بـ " أن اللغة العربية ليست أغنى لغات العالم فحسب ، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العسل" (٤) .

خامسًا : الرغبة في الاطمئنان على مستقبل اللغة العربية

لقد دفعني حي هذه اللغة وحرصني على بقائها شائعة قوية أن أطمئن على مستقبلها بين اللغات في المستقبل ، ويشهد سينجلر : " أن اللغة العربية قامت بدور أساسي كوسيلة لنشر المعارف ، وآلة للتفكير في خلال المرحلة التاريخية التي بدأت حين احتكر العرب - على حساب الرومان واليونان - طريق الهند" (٥) .

ولنستمع إذن إلى العالم والمؤرخ والفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون حيّك يقول : " إن اللغة العربية أصبحت اللغة العالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) ينظر : اللغة العربية وتعدديات العصر .

(٣) ينظر : تاريخ مسلمي أسبانيا (٣١٧/١) .

(٤) ينظر : مقال " اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين " لإدريس بن الحسن العلمي

(٥) المرجع السابق نفسه .

حيث خلفت تماماً اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية، واليونانية، والقبطية، والبربرية... ووقع نفس الحادث كذلك في فارس مدة طويلة. ورغم انبعاث الفارسية بقيت العربية لغة جميع المثقفين^(١).

وقد أكد جوستاف أيضاً بـ "أن الفرس يدرسون اليوم (أي : أواخر القرن التاسع عشر) العلوم والدينيات والتاريخ في مصنفات عربية"^(٢)، ويلاحظ ماجليوت أن "اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية، وأنها إحدى ثلاث لغات استولت على سكان المعمور استيلاءً لم يحصل عليه غيرها الإنجليزية والأسبانية؛ وهي تخالف أحتيتها بأن زمان حدوثهما معروف ولا يزيد سنهما على قرون معدودة، أما اللغة العربية فابتدأها أقدم من كل تاريخ"^(٣). وهذا التاريخ وجهود أبنائها المخلصين وقدرة العربية على التكيف كل ذلك ضماناً لها ضدّ غدر أعدائها وجهل بعض أبنائها، ويأتي في مقدمة ذلك ارتباطها بالقرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه ومن ثمّ حفظها؛ حيث يقول ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤).

ولقد "أكدت الإحصاءات العالمية أن اللغة العربية — في القرن العشرين — تحتلُ المكانَ الثالثَ بين لغاتِ العالمِ من حيث انتشارها وسعة مناطقها"^(٥). ويقول ولیم رولد: "إن اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما مضى أمام لغة من اللغات التي احتكت بها؛ وذلك أن لها ليناً ومرونةً يمكنها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر"^(٦). ويواصل هاسينيون وصفه الرائع للغة العربية قائلاً: "إن اللغة العربية أداة خالصة لنقل

(١) ينظر "اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين" نقلاً عن كتاب، (حضارة العرب) الطبعة الفرنسية (ص ٤٧٣).

(٢) ينظر : اللغة العربية وتحديات العصر، و (حضارة العرب)، (ص ١٧٤).

(٣) ينظر : مقال "اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين" لإدريس بن الحسن العلمي.

(٤) سورة الحجر، الآية (٩).

(٥) اللغة بين القومية والعالمية، (ص ٢٨٠).

(٦) ينظر : مقال "اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين" لإدريس بن الحسن العلمي.

بدائع الفكر في الميدان الدولي، وإن استمرَّ حياة اللغة العربية دولياً هو العنصر الجوهرى للسلام بين الأمم في المستقبل".(١)

وأخيراً كتب جول فيرن قصة خيالية بناها على سياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها. ولما أرادوا العودة إلى ظاهر الأرض ، بدا لهم أن يتركوا هناك أثراً يدلّ على مبلغ رحلتهم، فنقشوا على الصخرة ، كتابة باللغة العربية".(٢)

ولما سئل جول فيرن عن وجه اختيار اللغة العربية قال : "إنما لغة المستقبل". وهذا ما أكده ماسينيون — كما مرَّ — حيث يقول : "إن استمرار حياة اللغة العربية هو العنصر الجوهرى للسلام بين الأمم".(٣)

ويلاحظ الدكتور شكري فيصل وغيره أن : "العالم بأسره شهد على ما تتميز به العربية من الحيوية ، والغنى، والمرونة، والقدرة على تقبل الجديد وتوليد اللفظ، وقدر ما تحمل من إرث علمي إنساني كبير، وما تتصف به من قدرة على الوفاء بسائر الأغراض، فاعترفت منظمة الأمم المتحدة والمنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة والمنظمات والوكالات الدولية الأخرى، بأن العربية لغة حية واعتمدها لغة رسمية إلى جانب اللغات الخمس الأخرى : الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية"(٤) ويعلم كاميلوجوزي سيلا عن تنبؤاته المستقبلية فيما يتصل بمصير الألسنة البشرية ، وأحدث كلامه دويًا في الأوساط الثقافية ، فهو يرى أن "الثورة الاتصالية التي اختزلت بعد الزمان ، وألغت المكان ، وتجاوزت بواسطة الصورة

(١) من بحث للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله عضو أكاديمية المملكة المغربية والأمين العام السابق للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي منشور في مجلة " اللسان العربي " بعنوان : " اللغة العربية وتحديات العصر " بالعدد الصادر في السنة ١٩٧٦ م.

(٢) ينظر : مقال " اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين " لإدريس بن الحسن العلمي .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) المرجع السابق نفسه .

حواجز أدوات التعبير ستؤدي تدريجيا إلى انسحاب أغلب اللغات من ساحة الكوني وإلى تقلصها في أحجام محلية ضيقة ، ولن يبقى من اللغات البشرية إلا أربع قادرة على الحضور العالمي وعلى التداول الإنساني ، وهي الإنجليزية ، والأسبانية ، والعربية ، والصينية^(١) .

وبعد فما سبق بعض الأسباب التي دارت في خلدي ، ووجدت هذا الموضوع فرصة لعرض آراء بعض المنصفين للفتنا العربية من الغربيين والعلماء العرب المحدثين .

(١) العولمة والعولمة المضادة ، لعبد الوهاب المسدي ، ط مطابع لوتس بالفحالة ، القاهرة ١٩٩٩م ، (ص ٣٩٠).

التَّمْهِيدُ

التَّعْرِيفُ بِالِاخْتِصَارِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا

* الاختصارُ في اللُّغة :

جاء في لسان العرب : الاختصار في الكلام : " أَنْ تَدَعَ الْفُضُولَ وَتَسْتَوْجِزَ الَّذِي يَأْتِي عَلَى الْمَعْنَى ، وَهُوَ سَنَةٌ مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ وَخَاصِيَّةٌ مِنْ خِصَائِصِهَا " (١) . وكذلك الاختصار في الطريق . والاختصار في الجزأ : أَنْ لَا تَسْتَأْصِلَهُ . واختصار الطريق سلوك أقربه ، واختصار الكلام إيجازه ، والاختصار : حذف الفضول مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (٢) . والاختصار : إِرَادَةُ لِلتَّخْفِيفِ (٣) .

* الاختصارُ في الاصْطِلَاح :

وهو عبارة عن : " تَأْدِيَةُ الْكَلَامِ الْمَقْصُودِ بِأَقْلَ عِبَارَةٍ مُتَعَارَفٍ عَلَيْهَا " (٤) ؛ أى : هو أن يعمد القائل - المتكلم - إلى اختصار كلامه أو محاولة التعبير عن أكبر كمٍّ مُمكنٍ من المعاني بأقلِّ عددٍ مُمكنٍ من الألفاظ .. ، وقيل : "الاختصارُ تجريدُ اللَّفْظِ الْيَسِيرِ مِنَ اللَّفْظِ الْكَثِيرِ مَعَ بَقَاءِ الْمَعْنَى (٥) " ، ويمكن أن يكون الاختصار أيضًا : " وَضْعُ صِيغَةٍ عَلَى وَزْنٍ يَسْمَحُ بِهِ نِظَامُ اللَّغَةِ ؛ لِتَقُومَ مَقَامَ كَلَامٍ آخَرَ عَلَى سَبِيلِ الْإِيجَازِ " .

والاختصار في مُجْمَلِهِ : حذفُ الْفُضُولِ ، إلا أنه يأتي في اللغة العربية على وجهين :
- أحدهما : القصر :

(١) لسان العرب مادة (خ.ص.ر) .

(٢) مختار الصحاح (١/٢٤٤) .

(٣) البيان في إعراب القرآن ، (ص ١٧) .

(٤) الاتساع في الدراسات النحوية ، (ص ٣٨) .

(٥) موصل الإعراب (١/١٦١) ، و مغني اللبيب (١/٢٩٧) .

وهو الإتيانُ بلفظٍ قليلٍ تحته معاني جَمَّةٌ ، وهذا كقولهِ تعالى ﴿لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتِى أَلْأَلْبَسَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) ، ومنه قولهم : " حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ " ؛ فقد روى البغدادى عن السيد المرتضى في آماله أن " هذا من الاختصار الذي ليس فيه حذف ، أراد أنه أعزاء مُقيمون بدار ملكهم لا ينتجعون كالأعراب ، فاختصر هذا المبسوط في قوله (حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ) " . (٢)

- ثانيهما : إيجاز الحذف :

وهو عند حذف بعض مفردات التراكيب دون إخلال بالمعنى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَسَقَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾^(٣) ، ففي الآية الكريمة السابقة حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

ولا يقترن الاختصار بتقليل عدد الكلمات في الجملة العربية أو تقليل عدد الحروف في الكلمة فقط ، وإنما يقترن بذلك مع الاهتمام بالمعنى فهو يبدأ من المبني لينتهي إلى المعنى ؛ وفي ذلك دليل على ارتباط المعنى باللفظ أو المبني ، فليس زيادة المبني زيادة في المعنى على إطلاقه ، فمن الممكن مع الاختصار أن يقلَّ اللفظ أو المبني مع أداء نفس المعنى ، وتُحْبَذُ الزيادة في المعنى مع تحقيق فوائد أخرى كما سنرى .

(١) سورة البقرة ، الآية (١٧٩)

(٢) الخزانة (٤٨٧/٤) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (٨٢)

تطور ظهور مصطلح الاختصار عند النحاة والعلماء (١)

لقد ظهر مُصطلح الاختصار تدريجيًّا لدى النحاة العرب ، ولقد تعودنا من النحاة العرب أن يشيروا إلى الظاهرة اللغوية أولاً بإشارات خفيفة عند دراستهم لقضايا أخرى ، ثم يتبع ذلك تطوراً للمصطلح وحجم الدراسة والشواهد ، والبسط والتنقيح والتحليل ، .. الخ ، وقد حدث ذلك مع ظاهرة الاختصار ، ومن ذلك ما يلي :

* الاختصارُ عِنْدَ سِيَبَوِيَّهِ (ت ١٨٠هـ) :

أول مَنْ يمكننا الحديث عنه في هذا الشأن هو إمام النحاة سيبويه ؛ صاحب "الكتاب" ؛ لأنه أوَّل مَنْ أَلْفَ كتابًا في كثير من علوم اللغة كالنحو والصرف والأصوات والبلاغة ، .. الخ . ويتحدث سيبويه عن الاختصار في أكثر من موضع في كتابه دون أن يُحدِّد مفهومًا واضحًا للاختصار ، ومن ذلك — مثلاً — قوله معنونا : " هذا باب ما يكون فيه المصدر حينًا لِسَعَةِ الكلامِ والاختصارِ " ، ويقصد بذلك استعمال المصادر استعمال الظروف ؛ توسُّعًا في الكلام ؛ ورغبة في اختصاره ، نحو : مقدم الحاج ، وخفوق النجم ، وصلاة العصر ظروفًا (٢) . ومن ذلك حديثه عن إقامة النكرة مقام المعرفة ، والمفرد مقام الجمع ، لأجل اختصار الكلام ، وقال في (أفعل) التفضيل : " ويعمل في الجمع ، كقولهم : هو خير منك أعمالاً . فإن أضفت فقلت : هذا أول رجل ، اجتمع فيه لزوم النكرة ، وأن يلفظ بواحد وهو يريد الجمع ، وذلك لأنَّه أراد أن يقول : " أول الرجال " فحذف استخفافًا واختصارًا (٣) .

(١) اعتمد البحث بصورة رئيسة في هذه القضية على بحث (الاختصار في اللبّرات النحوية) للدكتور باسر حسن رجب في العدد (٢٦) من مجلة دار العلوم ، جامعة القاهرة ، جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ / أكتوبر ١٩٩٩ م (ص ٣٨٧) .

(٢) الكتاب ، سيبويه (٢٢٢/١) ، تح : عبد السلام هارون ، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٧٧ م .

(٣) الكتاب (٢٠٣/١) .

وقال في الحذف للاختصار: "ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَةَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ (١) إنما يريد : أهل القرية فاختصر (٢). وأخيراً يتحدث عن استعمال الظرف استعمال الأسماء للاختصار ، فيقول "تقول : صيد عليه يومان. وإنما المعنى صيّد عليه الوحش في يومين ، ولكنه اتّسع واختصر" (٣).

* الاختصارُ عندَ الزَّجَاجِ (ت ٣١٠هـ) :

والزجاج تحدث أيضاً عن الاختصار في معرض حديثه عن الحذف الذي يتم لأجل الاختصار ، ورغم ذلك لم يضع لنا مفهوماً واضحاً للاختصار (٤) .

* الاختصارُ عندَ ابنِ السَّراجِ (ت ٣١٦هـ) :

وابن السراج يتحدث عن الاختصار في معرض حديثه عن أنواع من الأفعال المستعارة للاختصار ، فاعلها مفعولون في الحقيقة ، نحو : مات زيد ، وسقط الحائط ، ومرض بكر (٥) . كما تحدث ابن السراج عن الاختصار في معرض حديثه عن (كَمْ) الاستفهامية ، وَيَبَيِّنُ أَنَّ الْهَدَفَ مِنْهَا قَصْدُ الْاِخْتِصَارِ فِي الْكَلَامِ ، حَيْثُ تُعْنِي (كَمْ) عَنْ أَنَّ نَقُولَ : أَعْشَرُونَ مَالِك ، أَثَلَاثُونَ مَالِك ، أَحْمَسُونَ ؟ ، وَالْعَدَدُ بِلَا هَآئِيَةِ ، فَأَتُوا بِاسْمٍ يَنْظُمُ الْعَدَدَ كُلُّهُ فَكَانَتْ (كَمْ) (٦) . كما تحدث عن الاختصار أيضاً عندما تحدث عن البدل ، وقال : إِنَّهُ اخْتِصَارُ خَبَرَيْنِ (٧).

(١) يوسف ، الآية (٨٢) .

(٢) الكتاب (٢١٢/١) .

(٣) الكتاب (١٢١/١) .

(٤) إعراب القرآن المنسوب للزجاج (٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٧/١) ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني

مكتبة المدرسة ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

(٥) الأصول في النحو لابن السراج (٧٤/١) تحقيق : عبد الحميد الفتلي ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية

بيروت (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م) .

(٦) الأصول في النحو (١٣٥/٢) .

(٧) المصدر السابق (٥٤/٢) .

* الاختصار عند الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) :

والزجاجي يتحدث عن التثنية والجمع في اللغة العربية ، فبين أن الهدف من ذلك قصد الاختصار بعدم تعدد الأسماء ، ولكنه ، كمن سبقوه ، لم يضع تعريفاً واضحاً للاختصار (١) .

* الاختصار عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ) :

وابن جني يتحدث عن الاختصار في غير موضع ، كحديثه عن أن الهدف من الحروف اختصار الكلام ، وكذلك الهدف من الأسماء الأفعال ، وكحديثه عن الحذف للاختصار ، ورغم ذلك لم يُحدِّد لنا مفهوماً جامعاً مانعاً للاختصار (٢) .

* الاختصار عند الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) :

والزمخشري يتحدث عن الاختصار في معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِنهَا بَقَرَةٌ لَا ظَرِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (٣) ، فيقول : " فإن قلت : كيف جاز أن يُشارَ به إلى مؤنثين وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر ؟ — بقصد اسم الإشارة (ذلك) — قلتُ : جاز ذلك عند تأويل ما ذكر ، وما تقدم ؛ للاختصار في الكلام ؟" (٤) . كما تحدث الزمخشري أيضاً عن الاختصار في معرض حديثه عن الحذف في التثنية لأجل الاختصار (٥) . و الزمخشري يتميز عَمَّنْ سبقوه بأنه حاول أن يقترب حثيثاً من مفهوم الاختصار وذلك في معرض تعليقه على قوله تعالى ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (٦) .

(١) الإيضاح في علل النحو للزجاجي (ص ١٢١) تحقيق : د. مازن مبارك ، ط دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٦م .

(٢) الخصائص لابن جني (١/٨٩) ، (٢/٢٧٣) ، تح : محمد علي النجار ، ط عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٣م .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٦٨) .

(٤) الكشاف للزمخشري (١/١٤٩) ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

(٥) الكشاف (١/١٠٣ ، ٣١٦ ، ٤٦٧ ، ٧٦٦) .

(٦) سورة طه ، الآية (٧٨) .

حيث قال الزمخشري : (ما غشيهم) من باب الاختصار ، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة ، أي: غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله (١). فكان الاختصار بذلك يعني تقليل اللفظ ، مع الوفاء بالمعنى المراد ، وعدم الإخلال به .

* الاختصار عند ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) :

وابن الشجري يتحدث عن الاختصار كثيراً ، كحديثه عن أن القصد بحروف المعاني اختصار الكلام ، وكذلك القصد بالضمائر ، والتثنية والجمع ، أسماء الأفعال ، والحذف أحياناً ، ورغم ذلك لم يقدم لنا مفهوماً واضحاً للاختصار (٢).

* الاختصار عند ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) :

وابن الأنباري يتحدث أيضاً عن الاختصار في غير موضع ، فقد تحدث عن حروف المعاني ، وأن الهدف منها اختصار الكلام ، وهو هدف الضمائر نفسها ، وكذلك هدف التثنية والجمع ، وأسماء الأفعال ، وأسماء الاستفهام ، والحذف أحياناً ، ولكنه — رغم ذلك — لا يقدم لنا تعريفاً جامعاً مانعاً للاختصار (٣).

* الاختصار عند العكبري (ت ٦١٦هـ) :

والعكبري يتحدث أيضاً عن الاختصار دون تعريف له ، وذلك في معرض حديثه عن الغرض من (إن)، قال : "إنما دخلت (إن) على الكلام للتوكيد عوضاً عن تكرير الجملة ، وفي ذلك اختصار تام مع حصول الغرض من التوكيد" (٤).

(١) الكشف (٧٨/٣) .

(٢) الأمالي الشجرية ، ابن الشجري (١٣/١-٩٠-٢٣٠) ، (٢/٢٣-١١٥) ، تحقيق د : محمود الطناحي ، مكتبة الخانجي ، ط ١ ، القاهرة ١٩٩٣ م .

(٣) الإنصاف ، لابن الأنباري (١٤٤/١-١٦٣) ، (٢/٤٦٠-٤٦١-٤٩٢) ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر . د . ت ، وأسرار العربية ، ابن الأنباري (٣٨٩، ٣٨٧، ١٠٥، ٤٧) ، والجمع العربي ، دمشق (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧ م) .

(٤) اللباب في علل البناء والإعراب ، أبو البقاء العكبري ، (٢٠٥/١) ، تحقيق : غازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط ١ ، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م) .

* الاختصار عند ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) :

وابن يعيش تحدث أيضاً عن الاختصار في غير موضع ، كحديثه عن أن الهدف من وضع العَلَمِ الرغبة في اختصار الكلام ، بعدم تعدد الصفات الدالة على المسمى ، وكحديثه عن أن الهدف من الحروف الاختصار ، وكذلك الهدف من الحذف أحياناً . والضمائر ، والتثنية ، والجمع ، وأسماء الاستفهام ، وأسماء الأفعال ، وتنوين العوض ، ولكنه — رغم ذلك — لم يُعرّف الاختصارَ تعريفاً جامعاً مانعاً (١).

* الاختصار عند الشلّوبين (ت ٦٤٥هـ) :

والشلّوبين تحدث عن الاختصار في معرض حديثه عن المقارنة بين فعل الأمر للمخاطب والفعل المضارع المجزوم — (لام) الأمر ، مثل : اذْهَبْ ، وَلِتَذْهَبْ ، فَيَبَيَّنَ أَنَّ الْأَجُودَ مِنْهُمَا اسْتِخْدَامَ فِعْلِ الْأَمْرِ ، " وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْأَجُودَ لِأَنَّهُ أَخْصَرَ مِنْ قَوْلِكَ : لِيَتَفَعَّلْ وَلِتَذْهَبْ ، فَاسْتَغْنَوْا بِالْأَخْصَرِ عَنْ غَيْرِهِ " (٢). لكنّه أيضاً لم يحد الاختصار بتعريف جامع مانع .

* الاختصار عند الرّضي (ت ٦٨٨هـ) :

والرّضي تحدث عن الاختصار في غير موضع أيضاً ، فقد تحدث عن الاختصار في مجال الضمائر ، والتثنية والجمع ، وأسماء الأفعال ، وكيف أن التفضيل لم يوضع له إلا صيغة واحدة هي (أفعل) للاختصار ، والكناية للاختصار ، والحذف للاختصار ، ورغم ذلك لم يضع لنا تعريفاً واضحاً للاختصار (٣) .

(١) شرح المفصل لابن يعيش (٢٧/١) ، (٩٢/٣-٩٣-٩٦) ، (٢٥-٢٥-١٠٤-١١٣) ، (١١٣/٢/٥) ،

(١٠/٦) ، (٣٠/٩) ، وعالم الكتب ، بيروت ، (د . ت) .

(٢) شرح المقدمة الجزولية للشلّوبين (٤٩٣/٢) ، تحقيق : د . تركي العتيبي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، بيروت

(١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) .

(٣) شرح الكافية للرّضي (١٥/١) ، (٧/٢) ، ٦٨ ، ٩٣ ، ١١٣ ، ٣١٣) ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت

(١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) .

* الاختصارُ عندَ ابنِ هشامٍ (ت ٧٦١هـ):

وابن هشام دار معظم حديثه عن الاختصار حول الحذف المقصود به اختصار الكلام ؛ لكنه كَمَن سبقوه ، ولم يحدَّ حدًا جامعًا مانعًا (١) .

* الاختصارُ عندَ السيوطي (ت ٩١١هـ) :

أمَّا السيوطي فَيَعْتَبِرُ أجمع عالم في القلم تحدَّثَ عن الاختصار ، حيث جعل له عنوانًا خاصًّا في كتابه (الأشباه والنظائر) (٢) ، وتحدَّثَ عن ميل العرب إلى الاختصار في كلامهم ، كما تحدَّثَ عن الأبواب النحوية التي يَرِدُ فيها الاختصار ، وطرف من أقوال العلماء حول الاختصار ، ورغم ذلك فلم يكن حديث السيوطي عن الاختصار حديثًا شاملًا ، حيث لم يضع لنا — كغيره — مفهومًا واضحًا للاختصار يحُدُّه ، ولمُ شتاته ، وكان ما ذكره عن الاختصار عبارة عن نماذج من أقوال العلماء حول الاختصار ، وليس دراسة تأصيلية له ، من حيث بيان حقيقته ، ووسائله ، ومظاهره ، والآثار المترتبة عليه ، والقيم النحوية التي يُحَقِّقُهَا ، ثُمَّ إِنَّ حديثه عن الاختصار لم يكن كذلك حديثًا شاملًا كُلِّ أقوال العلماء حول الاختصار ، بدليل أَنَّهُ لم يُشِرْ إلى حديث سيويوه عن الاختصار ، مع أَنَّ سيويوه — كما تقدَّم — تحدَّثَ عن الاختصار في غير موضع (٣) .

..... وبعد ؛ فقد سار العلماء فيما بعد علي درب السابقين في دراستهم للاختصار ونظرتهم ومنهجهم ولم يُفَرِّدُوا لظاهرة الاختصار دراسةً مُسْتَقِلَّةً جامعةً مانعةً ؛ بل تحدَّثُوا عنها في ثنايا كتبهم ومؤلفاتهم مع ظواهر وقضايا لغويةٍ أخرى ،

(١) معني اللبيب لابن هشام (ص ١٤-٢٤١-٧٩٧) ، تحقيق : د . مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، الطبعة

الخامسة — بيروت ١٩٧٩ م .

(٢) الأشباه والنظائر ، للسيوطي (٥١/١) ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

(٣) ينظر : الاختصار في الدراسات النحوية لياسر رجب ، (ص ١٣) .

على الرغم من أن هذه الظاهرة تستحق العناية والبحث ؛ لمكانتها في الدرس اللغوي العربي بعامة والنحوي بخاصة ، ولأهميتها بالنسبة للعرب والعربية وعشاقهما .

* الاختصار عند المعاصرين :

لقد أيقن العلماء والدارسون المعاصرون أهمية الاختصار في اللغة العربية ، وأرادوا أن يُسهِّموا في دراسة ظاهرة الاختصار ، ولم يُفعلوا جهود السابقين ونتائجهم بل بنوا عليها ، وفي الوقت ذاته لم يأخذوا بقول الطائي الكبير (١) :

يَقُولُ مَنْ تَطْرُقُ أَسْمَاعُهُ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ

وإنما أخذوا بقول أبي عثمان المازني "وإذا قال العالم قولاً مُتَقَدِّماً فَلِلْمُتَعَلِّمِ الاقتداء به ، والانتصار له ، والاحتجاج لخلافه ؛ إن وجد إلى ذلك سبيلاً" (٢) ،

وعليه فقد تناول بعض العلماء المحدثين والمعاصرين بعض قضايا الاختصار ومظاهره وشواهد ، ومن الدراسات التي أفاد منها هذا الكتاب الكثير ، ومن أهم العلماء الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهرة :

أولاً : الدكتور : أحمد عبد المنعم الرصد :

لقد اهتم الدكتور الرصد بدراسة ظاهرة الاختصار في كتابه "الاختصار" (٣). وفي هذا الكتاب عرّف الرصد للاختصار ، وعرض لبعض مظاهره وشواهد في الأبواب النحوية .

وقد ساق كثيراً من أقوال النحاة والعلماء حول هذه الظاهرة ، وتعدّ هذه الدراسة من الدراسات المفيدة والمختصة بدراسة هذه الظاهرة ، وهي لبنة تبعتها لبنات ولا تزال لغتنا بحاجة ماسة لمزيد من اللبنات والجهود والدراسات .

(١) الخصائص (١/١٩١) .

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) الاختصار : د . أحمد عبد المنعم الرصد . القاهرة (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) .

ثانياً : الدكتور : أحمد مصطفى عفيفي :

الدكتور أحمد عفيفي — أحد أساتذتي — مَنَّ تحدثوا عن الاختصار عند دراسته لظاهرة التخفيف ؛ وذلك في كتابه "ظاهرة التخفيف في النحو العربي" (١) .
وعقد سعاداته الصلة بين الاختصار والتخفيف ؛ لما بين الظاهرتين من علاقة عضوية ، فالاختصار قد يؤدي إلى التخفيف ، وقد يلجأ العرب للاختصار للتخفيف وغيره — كما سرى فيما بعد عند الحديث عن أسباب الاختصار ونتائجه — والاختصار مظهر من مظاهر التخفيف في اللغة عنده ، والاختصار عنده "عِبَارَةٌ عَنْ وَفُوعِ غُنْصِرٍ لُقُويٍّ مَحَلِّ غُنْصِرٍ لُقُويٍّ آخَرَ ، بِحَيْثُ يَتَضَمَّنُ الْأَوَّلُ مَعْنَى الثَّانِي مَعَ اخْتِلَافِهِ عَنْهُ فِي قِلَّةِ عَدَدِ حُرُوفِهِ" (٢) .

ولقد قارن الدكتور عفيفي بين الاختصار والحذف وفرَّق بينهما ، ونفى أن يكون الحذف مدرجاً تحت مفهوم الاختصار !! ؛ ولستُ معه فيما ذهب إليه في هذا الشأن — وسأوضح ذلك فيما بعد عند الحديث عن روافد الاختصار ومظاهره — ومما يُذكر للدكتور عفيفي أنه ذكر بعض العناصر اللغوية التي كان أصل وضعها على الاختصار ، ومما لاشك فيه أن هذه الدراسة الجادة أفادت دراستنا كثيراً .

ثالثاً : الدكتور : ياسر حسن رجب :

لقد أفرد الدكتور ياسر رجب — وهو أحد أساتذتي أيضاً — بحثاً مستقلاً لدراسة ظاهرة الاختصار بعنوان "الاختصار في الدراسات النحوية" (٣) .
ومما لاشك فيه ولا يُنكره الدكتور ياسر رجب استفادته من دراسات السابقين

(١) ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، ط الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٦م .

(٢) المرجع السابق ، (ص ٣٥١) .

(٣) بحث منشور بمجلة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، العدد (٢٦) ، جمادى الآخرة ٢٠ / أكتوبر

١٩٩٩م ، (ص ٣٨٧) .

حول ظاهرة الاختصار ، فمن الْمُسَلِّمَاتِ أَنَّ طبيعة العلوم تراكمية ، ولقد جاءت دراسته حول الاختصار مُفيدة وثرية وناضجة ، فقد أورد تعريفاً للاختصار النحوي فهو عنده "التعبيرُ عن المعاني النحويَّة المرادة بأقلِّ الألفاظ" (١) .

ثم تحدث عن الاختصار عند كبار النحاة ونقد دراساتهم لهذه الظاهرة ، وكذلك وضَّح أوجه القصور في دراسات بعض المعاصرين للاختصار (٢) ، كما علَّق على دراسات السابقين للاختصار — من وجهة نظره — ثم تحدَّث عن وسائل الاختصار وذكر بعض شواهد ، ... الخ .

خامساً : الدِّرَاسَةُ الَّتِي يَبَيِّنُ أَيْدِيَتُنَا " الاختصار سمة العربية " :

تأتي هذه الدراسة بعد هذا التراث الزاخر المزهر من الدراسات والأبحاث عن هذه الظاهرة المشهورة ؛ لتجمعها بين دفتي كتاب واحد في دراسة مُسْتَقْلَةٍ ، تُعَرِّفُ بِمَا فِي ضوء ما سبق من دراسات وتعريفات ؛ مع توضيح ما نراه في هذا الشأن — ولا نُكِرُ أو أَقْلَلْ هنا الإفادة الكبيرة والمهمة من الدراسات والأبحاث حول هذه الظاهرة — ولكنني أردت أن أُسْهِمَ ولو بالقليل في دراسة هذه السِّمَةِ الغالية والبارزة في لغتنا الغالية .

ويتحدث هذا الكتاب عن ظهور الحديث عن ظاهرة الاختصار ودراساتها ، وتطور ظهور ذلك المصطلح عند العلماء العرب من القدامى والمحدثين ، ثم تنفرد بحديث عن أسباب الاختصار ونتائجه وضوابطه في اللغة العربية ، وكذلك تتبَّع روافده ، وتعرض لمظاهره وشواهد وشوارده ، وتورد الأبواب النحوية والصرفية التي ظهرت فيها شواهد تدلُّ على هذه السِّمَةِ البارزة في العربية ، وتربط كل ذلك بأصول النحو العربي وقواعده .

(١) المرجع السابق (ص ١٦) .

(٢) وبخاصة دراسة الدكتور الرصد ، ودراسة الدكتور أحمد عفيفي

كما أضافت هذه الدراسة بعداً جديداً وهو استخدامها للمنهج التقابلي بين العربية وغيرها لتؤكد على تأصل الاختصار في اللغة العربية وامتيازها به مع سوق الأدلة والشواهد على ذلك .

ولقد سبق الدراسة مقدمةً ومدخلٌ فيهما الكثير من الحديث عن اللغة العربية وفضلها ومكانتها وآراء العلماء من العرب والغرب في هذا الأمر ، وإن كان هذا الكلام مُكرِّراً (١) فأرى أنه مُفيدٌ في بابه بإذن الله تعالى ولو من باب التذكير والترغيب ، والله من وراء القصد وهو الموفق إلى سواء السبيل .

(١) ينظر : الدرس التحوي في القرن العشرين ، للمؤلف ، (ص ٢٣) وما بعدها

الفصل الأول

روافد الاختصار ومظاهره وسائله

ويشتمل هذا الفصل على الحديث عن علاقة الاختصار بالمصطلحات اللغوية والظواهر النحوية الأخرى وهو ما أسماه "روافد الاختصار وروافده ومسانله".

أولاً : الاختصار والإيجاز

* الإيجاز في اللغة : أوجز الكلام قصراً ، وكلامٌ مُوجَزٌ يفتح الجيم وكسرها () ، ووجز : وَجَزَ الكلامَ وَجَازَةً وَ وَجَزاً ، وَ أَوْجَزَ : قَلَّ فِي بلاغة ، وَ أَوْجَزَهُ : اختصره . وكلامٌ وَجَزٌ : خفيف . وأمر وَجَزٌ وَ واجِزٌ وَ وَجِيزٌ وَ مُوجَزٌ وَ مُوجِزٌ . وَ الِوَجْزُ : الوَحْيُ ؛ يقال : أَوْجَزَ فلانٌ إيجازاً فِي كلِّ أمر . وأمرٌ وَجِيزٌ وكلامٌ وَجِيزٌ أي خفيف مقتصر ؛ الِوَجْزُ : السريع العطاء . يقال : وَجَزَ فِي كلامه وَأَوْجَزَ ؛ وَ أَوْجَزْتُ الكلامَ : قَصَرْتُهُ . وَ فِي حديث عليه السلام : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ أَي : أَسْرِعْ وَأَقْصِرْ . وَ تَوَجَّزْتُ الشَّيْءَ : مِثْلُ تَنَحَّزْتُهُ . وَ رَجُلٌ مُيْجَازٌ : يُوجِزُ فِي الكلام والحِوَابِ . وَ أَوْجَزَ القولَ والعطاء . قُلُّهُ ، وَهُوَ الِوَجْزُ ؛ قال : ما وَجَزُ مَعْرُوفِكَ بِالرَّمَاقِ ، وَ رَجُلٌ وَجَزٌ : سَرِيعُ الحَرَكَةِ فِيمَا أَخَذَ فِيهِ .

ومنه قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله : عَجِبْتُ لِمَنْ لَاحَنَ النَّاسَ كَيْفَ لَا يَعْرِفُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ؛ معناه : كَيْفَ لَا يَقْصِرُ عَلَى الْإِيجَازِ وَيَتْرَكُ الْفُضُولَ مِنَ الْكَلَامِ .

* الإيجاز في الاصطلاح : "هُوَ الْجَمْعُ لِلْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ" ، وَقِيلَ : " الْإِيجَازُ دَلَالَةُ الْفَلِظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ" .

وهو يُشَبِّهُ كَثِيراً تَعْرِيفَ الْإِيجَازِ كَمَا مَرَّ ، وَلِذَلِكَ يَرْبِطُ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ وَبِخَاصَّةِ عُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ بَيْنَ الْإِيجَازِ وَالْإِيجَازِ ، وَيَعْلُوهُمَا وَجْهَيْنِ لِعَمَلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَالْإِيجَازُ

(١) مختار الصحاح ، مادة (و.ج.ز) .

(٢) لسان العرب ، مادة (و.ج.ز) .

(٣) الحيوان للحافظ (١٦/٢) .

(٤) التل السائر لابن الأثير (٢/٢٣٢) .

والاختصار عندهم مصطلحان لظاهرة لغوية واحدة ، وقد اهتمّ البلاغيون العرب بدراسة ظاهرة الإيجاز في اللغة العربية ، وقد ربط كثير من العلماء بين الإيجاز والاختصار في أبحاثهم حتى قيل : الإيجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح وصرّح به الطيبي . ويُعبّر عن هذا التوجه أيضًا صاحب خزانة الأدب حيث يقول : " الإيجاز اعتنت به فصحاء العرب وبلغاؤها كثيرًا ، فإنهم كانوا إذا قصدوا الإيجاز أتوا بألفاظ استغنوا بواحدتها عن ألفاظ كثيرة ؛ كأدوات الاستفهام والشروط وغير ذلك ، فقولك : أين زيد ؟ مُعْنٍ عن قولك : أزيد في الدار أم في المسجد ؟ إلى أن تستقري جميع الأماكن ، وقولك : مَنْ يَقُمْ أَقْمَ مَعَهُ ؟ مُعْنٍ عن : إِنْ يَقُمْ زَيْدٌ أَوْ عَمْرُو أَقْمَ مَعَهُ ، وما بالدار من أحد ؟ مُعْنٍ عن قولك : ليس فيها زيدٌ ولا عمرو ، فغالبُ كلام العرب مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِيجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ ، وأداء الْمُقْصُودِ مِنَ الْكَلَامِ بِأَقْلٍ عبارة ، وهذا النوع على ضربين : إيجازٌ قَصْرٌ وإيجازٌ حَذْفٌ ، فإيجازُ الْقَصْرِ : اختصارُ الألفاظ ، وهو كقوله ﷺ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(١) فهذا اللفظ الوجيزُ المُعْجِزُ الْمُخْتَصَرُ غَايَةٌ فِي الْإِيجَازِ"^(٢).

وكُلُّ كتب البلاغة العربية تعرّضت للحديث عن الإيجاز ، فغلب مصطلح الإيجاز في كلام البلاغيين ، وغلب مصطلح الاختصار في كلام النحاة . وجماعة من العلماء فرّقوا بينهما — الإيجاز والاختصار — وفي هذا الشأن قال ابن سيده : بين الإيجاز والاختصار فرق منطقيٌّ ؛ ولذلك قال بعضهم : "الاختصار خاصٌ بحذف الجمل فقط بخلاف الإيجاز"^(٣) ، فالإيجاز : تجريد المعنى من غير رعاية للفظ الأصل بلفظ يسير ، و الاختصار : تجريد اللفظ اليسير من اللفظ الكثير مع بقاء المعنى^(٤).

(١) سورة البقرة ، الآية (١٧٩) .

(٢) ينظر : خزانة الأدب (٢٧٤/٢) .

(٣) ينظر : الإحقان في علوم القرآن ، (ص ٥٦)

(٤) موصل الإعراب (١٦١/١) .

ثانيا : الاختصار والحذف

* الحذف لغة : حذف الشيء ؛ يقال : حذفَ ذنب الشيء : إذا قطع طرفه ؛ وفرس محذوف الذنب ، وزقٌ محذوف : مقطوع القوائم ، وحذف رأسه بالسيف : ضربه فقطع منه قطعة ، حذفه يحذفه : أي أسقطه ، ومن شعره : أخذه ، وبالعصا رماه بها ... (١) .

* الحذف اصطلاحاً : قصد به النحاة والعلماء " حذف العامل مع بقاء أثره الإعرابي ؛ أو هو : إسقاط صيغ - ألفاظ - داخل التركيب في بعض المواقف اللغوية ، وهذه الصيغ التي يرى النحاة أنها محذوفة تلعب دوراً في التركيب في حالتَي الذكر والإسقاط ، وهذه الصيغ يُفترض وجودها نحويًا لسلامة التركيب وتطبيقاً للقواعد ، ثم هي موجودة ويمكن أن تكون موجودة في مواقف لغوية مختلفة " (٢) . وبعضهم يطلق الحذف علي " ما لا يبقى له أثر في اللفظ " (٣) ، ويمكن أن يطلق علي " حذف العامل وتدع ما عمل فيه علي حاله من الإعراب " (٤) ، ويمكن القول هنا : إنَّ المحذوف شبه معروف علي الرغم من غيابه ؛ ويمكن تقديره بسهولة لأنه مفهوم من السياق . ويرى ابن هشام أن " الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة ، وذلك بأن يجد خيراً بدون مبتدأ أو بالعكس ، أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس ، أو معطوفاً أو معمولاً بدون عامل " (٥) ، ويشترط النحاة والعلماء شروطاً لوقوع الحذف النحوي ، وتتلخص فيما يلي :

(١) ينظر : لسان العرب ، أساس البلاغة ، الصحاح مادة (حذف) .

(٢) الحذف والتقدير لعلي أبو المكارم ، (ص ١٩٦) .

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ١٠٢) .

(٤) الحذف والتقدير ، (ص ٢٠٥) .

(٥) مغني اللبيب (٢/ ١٧٦) .

- ١- وجود دليل مقالي : وهو كلام يدل على المحذوف ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبِيرًا ﴾ (١) ؛ أي : أنزل خيرًا ، فحذف الفعل للدليل المقالي .
- ٢- وجود دليل حالي : وهذا يفهم من سياق الكلام وحال المتكلمين ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٢) .
- ٣- وضوح المعنى وأمن اللبس : وهذا من أهم الشروط التي يجب مراعاتها مع كل ما يتصل بالنشاط اللغوي وظواهره المختلفة ؛ كالاختصار ، والاستغناء ، والحذف ، والتقدم ، والتأخير ، والتضمين ، والحمل بأنواعه ، وغير ذلك .
- ٤- ألا يكون مؤكدًا : لأن الحذف منافٍ للتأكيد إذ الحذف مَبْنِيٌّ على الاختصار والتأكيد مَبْنِيٌّ على الطول ، ومن ثم رَدُّ الفارسي على الزجاج في قوله في "إن هَذَانِ لَسَاحِرَانِ" أن التقدير : إن هَذَانِ لهما ساحران ، فقال : الحذف والتوكيد باللام متنافيان وأما حذف الشيء للدليل وتوكيده فلا تنافي بينهما ؛ لأن المحذوف للدليل كالثابت .
- ٥- ألا يُؤَدِّي حَذْفُهُ إلى اختصار المختصر : ومن ثم لم يُحذف اسم الفعل ؛ لأنَّه اختصارٌ للفعل ، وقال ابن جني في المحتسب : أخبرنا أبو علي قال : حذف الحرف ليس بقياس ؛ لأن الحروف إنما دخلت الكلام لِضَرْبٍ من الاختصار ، فلو ذَهَبَتْ تحذفها لكنت مُختَصِرًا لها هي أيضًا واختصارُ المختصرِ إجحافٌ به حذف (٣) .
- ويرى ابن هشام أنه " جَرَتْ عَادَةُ النَّحْوِيِّينَ أَنْ يَقُولُوا يَحذفُ المفعول اختصارًا واقتصارًا ، ويُريدون بالاختصار الحذف للدليل وبالاقتصار الحذف لغير دليل ، ويمثلونه بنحو : كلوا واشربوا ؛ أي : أوقعوا هذين الفعلين " (٤) .

(١) النحل ، الآية (٣٠) .

(٢) الفرقان ، الآية (٦٣) .

(٣) الأشباه (١/٥٦) .

(٤) معني اللب (١/٧٩٧) .

هذا ويشيع الحذف ومظاهره في معظم أبواب النحو العربي والصرف ؛ وذلك لأنَّ " العرب قد حذفت الجملة والمفرد والحرف والحركة ، وليس من شيء من ذلك إلا عن دليلٍ عليه ، وإلا كان فيه ضربٌ من تَكْلِيفٍ عِلْمِ الْعَيْبِ في معرفته " (١) . وتأتي أهمية القول بالحذف في أنه " أحدُ الْمَطَالِبِ الاستعمالية ؛ فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء — أو الجملة المكتوبة — وذلك لا يَتِمُّ إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد حذفها مُعْنِيًا في الدلالة كافيًا في أداء المعنى ، وقد يُحذف أحدُ العناصر ؛ لأن هناك قرائنٌ معنوية أو مقالية تشير إليه " كما سبق أن ذكرنا ، ولذلك يقول ابن جني : " إنَّ العربَ إذا حذفت من الكلمة حرفًا — أو حذفت الكلمة كُلَّهَا — راعت حال ما بقي منه ، فإن كان مما تقبله أمثلتهم أقروه على صورته " (٢) ؛ لأن " حذف ما حُذِفَ من الكلمة يبقى منها بعده مثالاً مقبولاً ، لم يكن لك بدٌّ في الاعتزام عليه ، وإقراره على صورته تلك البتة " (٣) .

ومن العلماء من يربط بين الحذف والاختصار ومنهم من يفرق بينهما ؛ وذلك لأن الاختصار : " وضع صيغة على وزن يسمح به نظام اللغة ؛ لتقوم مقام كلام آخر على سبيل الإيجاز ، وهو بهذا يختلف عن الحذف الذي هو إسقاط لبعض العناصر المكونة للصيغة أو الكلمة " (٤) . وقد امتدح النحاة والعلماء الحذف في اللغة ؛ فهو عندهم " بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المآخذ ، عجيبُ الأمر ، شبيهٌ بالسحر ؛ فإِنَّكَ ترى أن تَرَكَ الذَّكْرَ أَفْصَحَ من الذكر ، والصَّمْتُ عند الإفادة أزيدُ للإفادة ، وتجحد أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبَيِّن " (٥) .

(١) معني اللبيب (٢/ ٦٩٢) .

(٢) في بناء الجملة العربية لحماسة عبد اللطيف ، (ص ٣٤٦) .

(٣) الخصائص (٣/ ١١٥) .

(٤) الخصائص (٣/ ١١٣) .

(٥) الحذف والتقدير في بنية الكلمة . رسالة دكتوراه لكمال سعد ، دار علوم القاهرة ، سنة ١٩٩٣ م ، (ص ٨) .

(٦) دلائل الإعجاز (ص ١٤٦) ، ينظر : الخصائص (٢/ ٤٣٢) .

* **أنواع الحذف** (١): يكثر الحذف في اللغة العربية ، وهو أكثر من أن يُحصَى في القرآن الكريم "وهو ينقسم قسمين أحدهما : حذف الجمل ، والآخر : حذف المفردات ، وقد يرد كلام في بعض المواضع ويكون مُشتملاً على القسمين معاً ، فأما القسم الأول وهو الذي تحذف منه الجمل فإنه ينقسم إلى قسمين أيضاً ؛ أحدهما : حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاماً ؛ وهذا أحسن المحذوفات جميعها وأدلتها على الاختصار " (٢) . ومن أمثلة الحذف ما يلي :

— حذف حرف من الكلمة : لَمْ يَكْ ؛ أي : يكون ، ولم أَبْلُ ، .. الخ .

— حذف الكلمة من الجملة : ومنه قوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُ الْقَوْمَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ (٣) .

— حذف الجملة بأسرها : قول الرسول الكريم : [التمس ولو خائفاً من حديد] .

— حذف أكثر من جملة : والشواهدُ على ذلك كثيرة (٤) . ويتأكد الترابط العضوي

بين الحذف والاختصار لدى العرب ؛ لأن هذه الأمور تطلعننا " علي حقيقة العربية ،

وميلها إلى الإيجاز الشديد ، وأن المحذوفات في كتاب الله تعالى — لعلم المخاطبين بها

— كثرة جدّاً ، وهي إذا أظهرت تمّ بها الكلام ، وحذفها أوجز وأبلغ " (٥) .

وقد اهتمّ النحاة والبلاغيون بدراسة الحذف ، ولكننا نجد أن " نظرة البلاغيين

للحذف نظرة جمالية دلالية ؛ أي : للقيمة المعنوية الجمالية ... وهي ليست نظرة إلى

كَم التركيب أو قصره أو طوله أو إلى العامل أو المفعول أو تقدير المحذوف ، فمحال

الأسلوب وحسن العبارة ، ووقع ذلك في نفس السامع هي الأساس في تناول

(١) الأشباه (٥١/١ ، ٥٢) ، اللؤلؤ السائر (٢٣٢/٢)

(٢) اللؤلؤ السائر ، لابن الأثير (٧٧/٢) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (٨٢) .

(٤) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة (١٧٧/١) .

(٥) الرد على النحاة ، (ص ٦٩) .

البلاغيين لظاهرة الحذف^(١). "ويعُدُّ الحذفُ الرافدَ الأول والأشهر للاختصار ، وقد ربط النحاة بين الحذف والاختصار، وقد فرَّق بعضهم بينهما ، وفي ذلك يروى البغدادي عن السيد المرتضى في أماليه معلقاً على قولهم (حول قبر أبيهم) قائلاً: "هذا من الاختصار الذي ليس فيه حذف ، أراد أنهم أعزاء مُقيمون بدار ملكهم لا ينتجعون كالأعراب ، فاختصر هذا المبسوط في قوله (حول قبر أبيهم) ، وقال : والاختصار غير الحذف ، وقومٌ يظنون أنَّهما واحدٌ ، وليس كذلك ، لأنَّ الحذفَ يتعلق بالألفاظ ؛ وهو أن تأتي بلفظٍ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقلُّ بنفسه ، ويكون في الوجود دلالةً على المحذوف فيقتصر عليه طلباً للاختصار، والاختصارُ يرجع المعاني ، وهو أن تأتي بلفظٍ مفيدٍ لمعانٍ كثيرةٍ لو عرِمَ عنها اختصاراً لاحتيج أكثر من ذلك اللفظ ، فلا حذفٌ إلا وهو اختصارٌ ، وليس كُلُّ اختصارٍ حذفاً"^(٢).

وقد وقع خلافٌ حول علاقة الحذف بالاختصار ، فمنهم مَنْ يرى أن "الحذف من جنس الاختصار"^(٣)، ويؤكد ابن جني على ذلك بقوله: "والحذف من مَظَانِّ الاختصار"^(٤). ويؤكد ابن السجري على ذلك في قوله: "الحذفُ اختصاراً من أفصح كلام العرب ؛ لأنَّ المحذوفَ كالمنطوق به من حيث كان الكلام مُقتضياً له"^(٥)، ومنهم مَنْ يرى أن الحذف هو الاختصارُ ، ولكنَّ الصوابَ فيما أرى أن الحذف هو أحد روافد الاختصار ومظاهره ويرتبطان بعلاقة عضوية قوية لازمة . فكلُّ حذفٍ يمكن أن يكون اختصاراً وليس كُلُّ اختصارٍ حذفاً .

(١) الحذف والتقدير في كتاب سيويه ، رسالة دكتوراه لفكري محمد أحمد سليمان ، كلية الألسن ، جامعة عين

شمس ، القاهرة ١٩٨٨ م ، (ص ٢٤٩) .

(٢) غزاة الأدب (٣٨٧/٤) .

(٣) اللباب (٢٠٧/١) .

(٤) الخصائص (٩٥/٣) .

(٥) الأمالي الشعرية (١٢٣/٢) .

ثالثاً : الاختصار والاستغناء

* الاستغناء لغة : يُقال فيه : الغناء ؛ مثل الاكتفاء ، وليس عنده غناء ؛ أي : ما يُقتنى به يُقال : غُنيتُ بكذا عن غيره ، من باب (تَعَبَ) إذا استغنيتَ به (١) ، والاستغناء مصدر من الفعل استغنى ، وهو يدلُّ على القصد والتعمُّد .

* الاستغناء اصطلاحاً : لقد كان النحاة أحياناً في درسهم يصفون الظاهرة اللغوية ويرصدونها ويدرسونها دون أن يضعوها لها تعريفاً جامعاً مانعاً أو مصطلحاً علمياً كما نعرفه في حاضرنا ، ولقد ورد لدى كثير من النحاة مصطلح الاستغناء من لدُن سيبويه إلى يومنا هذا ، ومن ذلك ما ذكره سيبويه عن العرب في هذا الشأن : "ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يُستعمل حتى يصير ماقطاً" . ومنه ما ذكره ابن الأنباري : "قد يُستغنى بالحرف عن الحرف في بعض الأحوال إذا كان في معناه" ، ويقول في موضع آخر : "قد يُستغنى ببعض الألفاظ عن بعض إذا كان في المذكور دلالة على المخوف" (٢) ، ويقول السيوطي : "قد يستغنون بالشيء عما هو في معناه" (٣) .

وبعد .. فمما سبق من أقوال النحاة السابقة وغيرها ووصفهم لهذه الظاهرة جاز لنا أن نُعرِّفَ بمصطلح " الاستغناء " على أنه : " هو استغناء العرب بكلمة عن كلمة أو أكثر ؛ عن طريق حذف بعضها أو تغيير صورتها ، أو الاستعانة بكلمة ليست من اشتقاقها ؛ لوجود قرينة ، وذلك استحساناً وطلباً للخفة والاختصار ، ولضرب من البلاغة وتجويد المعنى " .

(١) ينظر : للمصباح المنير مادة (غني) ، ولسان العرب للمادة نفسها (٤٦/١) .

(٢) الكتاب (٢٥/١) ، (١٢١/٢) .

(٣) الإنصاف (٤٨٥/٢) ، مسألة (٦٨) .

(٤) الإنصاف (٩٣/١) ، مسألة (١٣) .

(٥) الأشباه والنظائر (٧٨/١) .

وكما ذكرت مصطلح الاستغناء ورد عند كثير من النحاة العرب في ثانيا مؤلفا ، أكثر سيويه إمام النحاة من ذكره (١) وقد مر بنا ذلك ، وعقد ابن جني له بابا في الخصائص (٢) ، وكذلك فعل السيوطي في الأشباه (٣) ، ودَرسه ابن السراج في الأصول (٤) ، وكذلك ابن الأنباري في الإنصاف (٥) ، وعلى هذا النحو تصرف معظم النحاة العرب مع ظاهرة الاستغناء ؛ وذلك لأن الاستغناء في نظرهم " بابٌ واسعٌ ؛ فكثيراً ما استغنت العرب بلفظ عن لفظ. (٦) "

وعن ذلك يقول ابن جني : " لا يُنكرُ أن يكونَ في كلامِهِم — العرب — أصولٌ غيرُ مَلْفُوظٍ بِهَا ، إلا أنَّها مع ذلك مُقَدَّرَةٌ ، وهذا واسعٌ في كلامِهِم (٧) " . ويؤكد النحاة علي أن الاستغناء من صنع العرب وعن قصد منهم " لأنه لا يُستنكر الاعتداد بما لم يخرج إلي اللفظ ؛ لأن الدليل إذا قام علي شيء في حكم الملفوظ به ، وإن لم يَجِرِ علي ألسنتهم استعماله (٨) " ، ولكن ما دام الاستغناء من صنع العرب وذكاء قريحتهم ، فلا بد أن يكون تصرفاً مُنضبطاً وليس مرتجلاً أو اعتباطياً .

ويقول ابن جني : " وذلك أنا نرى العرب قد غيرت شيئاً من كلامها من صورةٍ إلي صورةٍ ، فيجبُ حينئذٍ أن تتأتى لذلك وتلاطفه لا أن تحبطه وتعتسفُهُ (٩) " ؛ أي : يُشترط في الاستغناء السهولة والملاطفة ، كما يُشترط أن يتوافق اللفظ (المستغنى به)

(١) ينظر : الكتاب (٢٥/١) ، (١٢١/٢) ، وغيرها .

(٢) الخصائص (٢٦٦/١) وما بعدها .

(٣) الأشباه والنظائر (٧٦/١) وما بعدها .

(٤) الأصول (٥٧/١ ، ٧٥ ، ٧٧) وغيرها .

(٥) الإنصاف (٩٣/١) ، (٤٨٥/٢) وغيرها .

(٦) الأشباه (٧٦/١) .

(٧) المنصف (٣٤٨/١) .

(٨) الخصائص (٣٤٣/٢) .

(٩) الخصائص (٤٧٠/٢) .

مع أمثلتهم وصورهم كما كان المحذوف (المستغنى عنه) موافقاً ، وعن ذلك يقول ابن جني: "العرب إذا غيّرت كلمة من صورة إلى أخرى ، اختارت أن تكون الثانية مُشَابِهَةً لأصول كلامهم ومُعْتَادِ أمثلتهم ، وذلك أَنَّكَ تحتاجُ إلى أن تُنِيبَ شيئاً عن شيء ؛ فأولى أحوال الثاني بالصواب أن يُشَابِهَ الأول ؛ ومن مُشَاهَدته له أن يُوَافِقَ أمثلة القوم ، كما كان المُنَاب عنه مثلاً من مُثلهم أيضاً". ويُشْتَرَطُ أن لا يكون الاستغناء دون سبب أو دافع أو دون أن يهدف إلى شيء يخدم اللغة ، وإلا كان ضرباً من الإفساد اللغوي والقوضى التي لا تقبلها اللغة العربية ، كما يؤكد النحاة عليّ تعمّد العرب إحداث هذا الاستغناء . ويُشْتَرَطُ أن يكون الكلام بعد الاستغناء وقبله جيداً ، ولكن بعده أجود وأبلغ ، وهذا ما عناه سيوييه بقوله : "لو حَسُنَ الكلام بالذي لا يستغنى عنه لَحَسُنَ الذي يستغنى عنه (١) ؛ أي : إن العرب قد انتقلت بالاستغناء من كلام فصيح إلى كلام أفصح وأبلغ وأجود ، بل أكثر قدرة عليّ إيصال المعنى وتجويده — يلاحظ أن النحاة قصدوا الاستغناء والمحذف — وعلى هذا فالاستغناء يعدُّ وسيلة من وسائل الاختصار ورافداً من روافده .

رابعاً : الاختصارُ والاتِّساعُ

الاتِّسَاعُ لغةً: من مادة (وسع) وعن ذلك يقول ابن سيده : "اتسع موسع غير أن فاء الافتعال وقعت (واواً) فقلبت الواو (تاء) ثم أدغمت التاء في التاء فصارت الاتساع" (٢). ويرى ابن منظور أن : "السَّعَةُ نَقِيضُ الضَّيْقِ ، وقد وسعه يسعه ، ويسعه سعة (وُسْع) بالضم ، وساعة فهو وسع ،... وأتسع كوسع ، والتَّوَسَّعُ خلافُ التَّضَيَّقِ (٣)" ، ويقول الزمخشري : "لي في هذا المكانِ مُتَّسَعٌ ، وأوسعتُ الموضوعَ :

(١) الخصائص (٢/ ٦٦ - ٦٧) .

(٢) الكتاب (٢/ ٢٨١) .

(٣) المحكم لابن سيده (٢/ ٢٢٠) .

(٤) لسان العرب مادة (وسع) .

وجدته واسعًا ، يقال : أوسعت فابن ، وفرس وساع ، ووسع واسع الخطون^(١) ، وكذلك "والواسع والسعة (بالفتح) : الجدة والطاقة^(٢) " .

ومما سبق يتضح أن مفهوم الاتساع اللغوي يدور حول "عَدَمِ التَّضْيِيقِ والتَّرخُّصِ والْقُدْرَةِ والطَّاقَةِ والشُّمُولِ والْعُمُومِ وَعَدَمِ الإِرْهَاقِ^(٣) " .

***الاتساع في الاصطلاح:** وهو يعني : "المُرُونَةُ فِي اللَّفْظِ وَمُرَاعَاةُ مُقْتَضَيَاتِ السِّيَاقِ فِي التَّرْكِيبِ وَالْعَلَّاقَاتِ التَّحْوِيَّةِ^(٤) " ؛ وذلك لأن "الشَّيْءَ قَدْ يَكُونُ لَهُ أَصْلٌ ثُمَّ يَتَّسِعُ فِيهِ ؛ أَي : يخرج عنه هذا الأصل^(٥) " . ويرى النحاة أن "الاتساع ضرب من الحذف ، إلا أن الفرق بينهما أنك لا تُقِيمُ الْمُتَوَسِّعَ فِيهِ مَقَامَ الْمَحذُوفِ وتُعَرِّبُهُ بإعرابه ، وفي الحذف تحذف العامل فيه وتَدْعُ ما عَمَلَ فِيهِ عَلِي حَالِهِ فِي الإِعْرَابِ ، والاتساع العامل فيه بحاله ، وإِنَّمَا تُقِيمُ فِيهِ مَقَامَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَ الْمُضَافِ ، أو الظرف مقام الاسم ، فالأول نحو : قوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(٦) ، والمعنى : أهل القرية ، والثاني نحو : صيد عليه يومان ، والمعنى : صيد عليه الوحش في يومين^(٧) .

ويؤكد النحاة على كثرة الاتساع عند العرب ، فـ "الاتساع في كلامهم أكثر من أن يحاط به"^(٨) ، وقد اهتمَّ النحاة بهذه الظاهرة لَدَيِ العرب ، فقد عَقَدَ سيبويه في كتابه بابًا سَمَّاهُ : "بابُ استعمالِ الفعلِ في اللفظِ لا في المعنى لِاتِّسَاعِهِمْ فِي الْكَلَامِ

(١) أسس البلاغة (٢/٥٠٥ - ٥٠٦) .

(٢) مختار الصحاح مادة (وسع) .

(٣) الاتساع في الدراسات النحوية ، ماجستير لأحمد عطية محمودي ، دار علوم القاهرة ١٩٨٩م (ص ١٧)

(٤) ينظر : الاتساع في الدراسات النحوية ، (ص ١٨) .

(٥) الأشباه والنظائر (١/٣٥) .

(٦) سورة يوسف ، من الآية (٨٢) .

(٧) الأصول لابن السراج (٢/٢٠٥) ، الأشباه للسيوطي (١/٣٥) .

(٨) الأشباه والنظائر (١/٣٥) .

والإيجاز والاختصار (١) ، " ويُشترط أن " يأتي الاتساع على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى (٢) ، أي : " يُشترط أن يكون المخاطب فاهماً للمعنى ، ولا يفهم المخاطب ذلك إلا إذا كان هذا التحور أو كثر الاختيار من العرف اللغوي ؛ أي : من سليقة المتكلم والمستمع معاً وكفاية كل منهما اللغوية ، وهذا هو الجانب الإبداعي في اللغة (٣) . وخلاصة القول : أنه " متى وجدت الإفادة يمكن أن يوجد التسامح أو الترخص أو الاتساع اللغوي " (٤) .

خامساً : الاختصار والتضمن

* التضمن في اللغة : هو جعل الشيء في باطن شيء آخر ؛ وإيداعه إياه ؛ ويقال : ضمن فلان ماله خزائنه ، فتضمنته هي ، والخزانة مضمن فيها ، وهي أيضاً متضمنة والمال متضمن (٥) .

* التضمن في الاصطلاح : للتضمن مجموعة من التعريفات أهمها : " أن يؤدي (أو يتوسع) في استعمال لفظ توسعاً يجعله مؤدياً معنى لفظ آخر مناسب له ، فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي وال لزوم (٦) وهو عند بعضهم : "إشراق لفظ معني لفظ آخر وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين" (٧) . وإن الغرض من التضمن إعطاء مجموع معين وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد (٨) .

(١) الكتاب لسبويه (١٠٨/١) ، وينظر : شرح المفصل (٨١/٥) .

(٢) الكتاب لسبويه (١٠٩/١) .

(٣) النحو والدلالة لحماسة عبد اللطيف ، (ص ٨٦) .

(٤) حاشية الحضري (٩٧/١) ، ط المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٩٢٩ م .

(٥) لسان العرب ، المصباح المنير مادة (ضم ن) .

(٦) ينظر : الخصائص (٣٠٨/٢ ، ٤٣٥) .

(٧) معني اللبيب (٧٩١/٢) ، ينظر : حاشية الصبان (٩٥/٢) .

(٨) الأشباه والنظائر (١٣/١) .

وعن كيفية وقوع التضمن يحدثنا ابن جني حيث يقول : " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بحرف آخر ؛ فإن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ، إيداناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ؛ فلذلك جيء بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ؛ وذلك كقوله تعالى ﴿ أَجِلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (١) ، وأنت لا تقول (رفثت المرأة) ولكن تقول (رفثت بها أو معها) ، لكنّه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء ، وكنت تعدي (أفضيت) بإلى ؛ كقولك : أفضيت إلى المرأة ؛ جئت بـ (إلى) مع الرفث إيداناً وإشعاراً أنه بمعناه (٢) . وعن ذلك يقول ابن الأنباري : "لأنهم يجرون الشيء مجرى الشيء إذا شابهه" (٣) .

وقد امتدح ابن جني التضمن قائلاً : " وهذا من أسد وأدمت مذاهب العربية ، وذلك أنه موضع يملك فيه المعنى عنان الكلام ، فأخذه إليه ويصرفه بحسب ما يؤثره عليه" (٤) . فمن المؤكد أن التضمن جاء لتحسين المعنى والعناية به ، لأن التضمن في الدرس النحوي ما هو إلا دراسة في المعنى ، ويؤدي فيه المعنى دوراً بارزاً ؛ لأن الاعتماد على اللفظ المنطوق ، فعن كثرة التضمن يقول ابن جني : "إنه وجد في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً يخاطب به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً، وقد عرفت طريقه، فإذا مر بك فتقبله وأنس به، فإنه فصل في اللغة لطيف حسن يدعو إلى الأنس بها" (٥) .

ومما سبق يتضح أن التضمن أحد مظاهر الاختصار ووسائله ويرتبطا بعلاقة عضوية.

(١) البقرة ، الآية (١٨٧) .

(٢) الخصائص (٣٠٨/٢) .

(٣) الإنصاف (١٦٦/١) .

(٤) المحجب (٥٢/١) ، ينظر : معني اللبيب (٦٠٩ / ٢) .

(٥) الخصائص (٣١٠/٢) .

سادساً : الاختصار والحمل على المعنى

* الحمل على المعنى : هو "أن يعطي الشيء حكم ما أشبهه في معناه أو في لفظه أو فيهما" (١) ، أو هو "حمل اللفظ على معنى لفظ آخر أو تركيب على معنى آخر ؛ لشبه بين اللفظين والتركيبين في المعنى المجازي ، فيأخذان حكمهما النحوي مع ضرورة وجود قرينة لفظية أو معنوية ، تدل على ملاحظة اللفظ أو التركيب الآخرين ويؤمن معها اللبس" (٢). فمن الواضح أن الحمل على المعنى يتم بين لفظين بينهما تشابه فحمل معنى الثاني — مثلاً — على الأول ؛ وذلك لوجود قرينة ، وذلك "لأنهم يحرون الشيء بحرى الشيء إذا شابهه" (٣) ، ويلاحظ أيضاً أن كلا اللفظين موجود في الاستعمال اللغوي ، وذلك لأن "حمل الشيء في بعض أحكامه لا يُخرجه عن أصله" (٤) ، ولأن العرب "كانت تُعنى بالفاظها فتصلحها وتُهذبا وتُراعيا ، وتُلاحظ أحكامها بالشعر تارةً وبالخطب تارةً أخرى ، بالأسجاع التي تلزمها وتتكلف استمرارها ، فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها ، وأفحس قدرًا في نفوسها" (٥) ، فكان العرب يحملون على المعنى أو يستغنون عن بعض الألفاظ ببعض ؛ لهدف الوصول إلى سلامة التركيب وتوحيد المعنى ؛ وذلك لأن "كل جملة صحيحة نحويًا تُعدُّ جملة مستقيمة ، ولكن الحكم على هذه الاستقامة بالحسن والكذب يتعلق بالمعنى الذي تُفيدة عناصر الجملة عندما تترابط" (٦).

(١) معنى اللبس (٢٧٤/٢) .

(٢) الحمل على المعنى لأشرف مبروك ، (ص ٦) .

(٣) الإنصاف (١٦٦/١) .

(٤) الإنصاف (١٤٢/١) .

(٥) الخصائص (٢٣٧/١) .

(٦) النحو والدلالة لحماسة عبد اللطيف ، (ص ٦٣) .

ولكي يتضح لنا الأمر نسوق هذا المثال الذي يقول فيه سيبويه حين حُمِلت (إلا) على معنى (لكن) لا شيء إلا لصحة المعنى ، وكان ذلك في باب يقول فيه : "هذا باب يُختار فيه النصب ؛ لأن الآخر ليس من النوع الأول" ؛ ويقول : "وهو لغة أهل الحجاز ؛ وذلك مثل قولك : ما فيها أحدٌ إلا حماراً ، وكرهوا أن يُبدلوا الآخر من الأول فيصير كأنه من نوعه ؛ فحمل على معنى (ولكن) ،" وفي الاختصار يقول : "يستغنى العرب بقولهم (إلا) عن الفعل (أدعو) أو الفعل (أنادي) ،" .

فالمعنى الجيد هو هدف الاختصار والاستغناء والحمل والحذف ، وغير ذلك من الوسائل اللغوية ؛ لذلك يقول ابن جني: "رأيت غلبة المعنى للفظ وكون اللفظ خادماً للمعنى مُشيداً به ، وأنه إِنَّمَا جِيءَ به له ومن أجله ، وأما غير هذه الطريقة من الحمل على المعنى وترك اللفظ — الاستغناء — وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر ، وإضمار الفاعل لدلالة المعنى عليه ، وإضمار المصدر لدلالة الفعل عليه ، وحذف الحروف والأجزاء التوأم والحمل وغير ذلك حملاً عليه وتصوراً له ، وغير ذلك مما يطول ذكره ويُملَأُ أيسره فأمرٌ مستقرٌّ ومذهبٌ غير مُستَكرٍ" (١) . ويتشابه الاختصار مع الحمل على المعنى في كثرته عند العرب ، وفي هذا الشأن يقول ابن الأنباري : "هو أكثر من أن يُحصى" (٢) . وكذلك الاختصار فهو جُلُّ مقصودِ العرب ، ومعظمُ كلامهم مَبْنِيٌّ على الاختصار .

(١) الكتاب (٣١٩/٢) .

(٢) الكتاب (٣١٩/٢) وينظر : الأشباه (٧٧، ٧٨/١) ، وشرح المفصل (١٢٧/١) ، (٤٠/٢) .

(٣) الخصائص (٢٣٧/١) .

(٤) الإنصاف (٧٧٧/٢) .

الفصلُ الثاني

أسبابُ الاختصارِ ونتائجُهُ وضوابطُهُ

أولاً : أسبابُ الاختصارِ

لكُلِّ ظَاهِرَةٍ أسبابٌ تُؤدِّي إلى حدوثها ، وظاهرةُ الاختصارِ كغيرها من الظواهر اللغوية ، وهي كانت بلا شكْ نِتَاجَ أسبابٍ أدَّتْ إلى حدوثها وظهورها على ثوب اللغة العربية . وهذه الأسبابُ كثيرةٌ ؛ منها ما يتعلَّقُ بطبيعة اللغة العربية وجمعها على يد اللغويين ، ومنها ما يتعلَّقُ بالعرب أنفسهم ومقصودهم كما يقول السيوطي "الاختصارُ هُوَ حُلُّ مَقْصُودِ الْعَرَبِ" (١) ، ومن هذه الأسبابُ ما يتعلَّقُ بِالنَّحْوِ ومنهجهم في التعامل مع الموروثِ اللُّغَوِيِّ وقواعدهم النحوية ،... الخ . ويمكننا أن نتذكر معاً أهم هذه الأسباب في الآتي :

* السَّبَبُ الْأَوَّلُ : طَبِيعَةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ :

مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَيْضاً أَنَّ اللُّغَةَ قَدْ مَرَّتْ بِمَرَاكِحَ تَطَوُّرِيَّةٍ كَثِيرَةٍ مِمَّا نَجِدُهُ فِي بَطُونِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَفِي ثَنَائِهَا النُّصُوصِ مِنْ أَمْثَلَةِ نَحْوِيَّةٍ وَشَوَاهِدِ أَدْبِيَّةٍ خَارِجَةٍ عَنْ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي وَضَعَهَا النَّحَاةُ ثُمَّ التَّمَسَّوْا لَهَا تَحْرِيجًا مَا هُوَ إِلَّا بَقَايَا مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَرَاكِحِهَا الْأَوَّلِي قَبْلَ أَنْ تَنْتَضِحَ (٢) ، وَخِلَالِ هَذَا التَّارِيخِ اللُّغَوِيِّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَعَرَّضَتْ لظَوَاهِرَ لُغَوِيَّةٍ شَتَّى ، كَالِاسْتِغْنَاءِ وَالْحَذْفِ وَالْحَمَلِ عَلَى الْمَعْنَى وَالتَّضْمِينِ وَالِاخْتِصَارِ ، ... وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَفِي هَذَا الشَّأْنِ يَقُولُ ابْنُ جَنِّي : " سَبَبُ هَذِهِ الْحُمُولِ وَالِإِضَافَاتِ وَالِإِلْحَاقَاتِ كَثِيرَةٌ ، فَهَذِهِ اللُّغَةُ وَسَعَتْهَا ، وَغَلَبَتْ حَاجَةُ أَهْلِهَا إِلَى التَّصَرُّفِ فِيهَا وَالتَّرَكُّحِ فِي أَثْنَائِهَا ؛ وَالتَّصَرُّفُ فِي نَوَاحِيهَا وَوُجُوهِهَا لِمَا يَلَابِسُونَهُ وَيَكْثُرُونَ اسْتِعْمَالَهَا مِنْ الْكَلَامِ الْمُنْثَرِ وَالشَّعْرِ الْمَوْزُونِ وَالْخُطْبِ وَالسُّجُوعِ ، وَلِقَوَّةِ إِحْسَاسِهِمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ شَيْئًا وَتَخِيلِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يَشْعُرُ بِهِ مَنْ لَمْ يَخَالَفْ مَذَاهِبَهُمْ" (٣) . وَاسْتَكْدَّ ابْنُ الْأَثِيرِ

(١) الْأَشْبَاهُ وَالنِّظَائِرُ (١/٦٦) .

(٢) الْبَحْثُ الْفَرَوِي عِنْدَ الْعَرَبِ ، (ص ٦٤) .

(٣) الْخَصَائِصُ (١/٢١٥) .

على ذلك بقوله: "اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ سَيِّدَةُ اللُّغَاتِ ؛ فَهِيَ أَشْرَفُهُنَّ مَكَانًا ، وَأَحْسَنُهُنَّ وَضْعًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا جَاءَتْ آخِرًا فَتَفَتَّ الْقَبِيحُ مِنَ اللُّغَاتِ مِنْ قَبْلِهَا ، وَأَخَذَتْ الْحَسَنَ ، ثُمَّ إِنَّ وَاضِعَهَا تَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ السَّالِفَةِ ، فَاخْتَصَرَ مَا اخْتَصَرَ وَخَفَّفَ مَا خَفَّفَ " (١).

كما لا يفوتنا أن نَعْرِفَ أَنَّ الْقِسْمَ — الْمُسْتَوِي — الْأَهَمُّ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ بِخَاصَّةٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ هُوَ الشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي يَتَّصِفُ بِنِظَامٍ لُغَوِيٍّ خَاصٍّ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ مُسْتَوِيَّاتِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ ؛ حَيْثُ أَنَّ الشَّاعِرَ مُحْكَمٌ بِالنِّظْمِ وَالْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ ، وَفِي سَبِيلِ ذَلِكَ الْحَافِظَةِ عَلَيْهِ قَدْ يَرْتَكِبُ الشَّاعِرُ خَطَأً نَحْوِيًّا أَوْ صَرْفِيًّا ؛ وَعَنْ ذَلِكَ يَقُولُ سِيبَوِيهِ : "اعْلَمْ أَنَّهُ يَجُوزُ فِي الشَّعْرِ مَا لَا يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ" (٢) . وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ الشُّحَاةُ وَالْعُلَمَاءُ (الضَّرُورَةَ الشَّعْرِيَّةَ) ، وَذَلِكَ لِأَنَّ "الشَّعْرَ مَوْضِعَ اضْطِرَارٍ وَمَوْقِفَ اعْتِدَارٍ ، وَكَثِيرًا مَا تُحَرَّفُ فِيهِ الْكَلِمُ عَنْ أَبْنِيَّتِهِ ، وَتُحَالُ فِيهِ الْمَثَلُ عَنْ أَوْضَاعٍ صِغِفَهَا لِأَجَلِهِ" (٣) ، فَالشَّاعِرُ إِذَا اضْطَرَّ "جَازَ لَهُ أَنْ يَنْطِقَ بِمَا يَبِيحُهُ لَهُ الْقِيَاسُ وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بِهِ سَمَاعٌ" (٤) . وَيُضَافُ أَيْضًا إِلَى طَبِيعَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى اللَّحْوِ إِلَى الْإِخْتِصَارِ رَغْبَةُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي إِحْدَاثِ التَّوَاصُلِ وَالتَّفَاهُمِ اللَّغَوِيِّ ، فَتُجَدُّ اللُّغَاتُ أَوْ اللَّهَجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي تَتَنَافَسُ عَلَى الْإِخْتِصَارِ مِنْ أَجْلِ تَجْوِيدِ الْمَعْنَى وَتَحْسِينِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُدْغِمُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْكُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُثَبِّتُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَذِّفُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُهْمِلُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْمِلُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُضَمِّنُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَغْنِي . وَالْمُدَقِّقُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَجِدُ أَهْلَهَا يَجْنَحُونَ إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِإِخْتِصَارِ أَلْفَاظِهَا وَالْقَصْدِ فِي تَرَاكِبِهَا، وَمِنْهُ مَا يَلِي :

— حُرُوفُ الْمَعَانِي كَثِيرَةٌ وَلَهَا دَوْرٌ مَهْمٌ فِي كَيَانِ اللُّغَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا لَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى فِي ذَاتِهَا ، وَإِنَّمَا تَسْتَعْمِدُ مَعْنَاهَا عِنْدَ إِضَافَتِهَا إِلَى غَيْرِهَا .

(١) المثل السائر لابن الأثير (١ / ٢٠٦) .

(٢) الكتاب (٨/١) .

(٣) الخصائص (٣ / ١٨٨) .

(٤) الخصائص (١ / ٣٩٧) .

— الأفعال تميل إلى الاختصار فهي بين الثلاثية والسداسية ، وعندما تضاف مثلا أداة جزم للفعل المضارع يحدف حرف العلة ؛ نحو (لم يقل ، لم يدع ، .. الخ) ، وقد يأتي الفعل في صورة الأمر على حرف واحد ؛ نحو : (ع ، ف ، ق ، .. الخ) ، وللفعل الماضي في اللغة العربية صورة واحدة أما في الفارسية فله خمس صور (ماضي قريب ، وماضي بعيد ، وماضي بسيط ، وماضي مركب ، وماضي مطلق) وفي الإنجليزية (ماضي بسيط ، ماضي تام) ، والمضارع في العربية يدل على الحال والمستقبل ، ولكننا نجد اللغة الإنجليزية لتدل على الحال تستعمل (مضارع بسيط ، مضارع تام ، مضارع مستمر) و للمستقبل تستعمل (المستقبل البسيط ، المستقبل التام) .

— وكذلك نجد الأسماء في اللغة العربية تميل إلى الاختصار فهي بين الثلاثية والسداسية ، وتأتي في بعض الكلمات ثنائية وهي في الأصل ثلاثية نحو : (أب ، أم ، يد ، دم ، .. الخ) .

— والراجح في الجملة العربية أنها نوعان : اسمية وفعلية ، وتتكون كل واحدة من ركنين أساسيين فقط ، وما يرد بعد هذين الركنين يسمى مكملات الجملة. والأمثلة والشواهد الكثيرة التي يشتمل عليها بنیان اللغة العربية وطبيعتها تؤكد بما لا يدعُ مجالا للشك في أن اللغة العربية لغة إيجاز واختصار ، وهي قادرة على حمل أسمى المعاني بأقل المباني ولذلك كرمها الله ﷻ بتزول القرآن الكريم آخر كتبه على لسانها.

* السبب الثاني : الرغبة في الاختصار وتجويد الكلام

لقد تحدثنا عن طبيعة اللغة العربية وعرفنا أن هذه الطبيعة كانت سببا مباشرا في حدوث ظاهرة الاختصار وغيرها من الظواهر اللغوية ، ونظرا لتعدد مفردات اللغة وتعدد لهجاتها وأن اللغويين عندما جمعوها خلطوا كل مستويات اللغة شعرا ونثرا ولهجات ، وغير ذلك ، ثم أرادوا أن يضعوا قواعد واحدة ومطردة تطرد على كل هذه المستويات ؛ وذلك رغبة منهم في الوصول إلى لغة مطردة قوية متماسكة البنيان ، لا يعترىها زيادة أو فضول كلام ، ولا يشوبها عجز أو قصور ؛ وفي سبيل

ذلك أعمل النحاة واللغويون فكرهم فوجدوا أن العرب قد استغنوا ببعض الألفاظ عن بعض رغبة في الاختصار والإيجاز ؛ لأن "اللغة هي التعامل بالكلمات ومهمتها حدوث التفاهم بين الجماعة اللغوية ؛ لهذا فإن الموقف اللغوي إذا فهم بمجرد ذكر بعض عناصره اللغوية دون البعض الآخر ، جاز الاستغناء عن بعض هذه العناصر من هذا المنطلق" (١) ؛ لأن هذه الأمور تُطلعنا "علي حقيقة العربية ، وميلها إلى الإيجاز الشديد ، وأن المحذوفات في كتاب الله تعالى — لعلم المخاطبين بها — كثيرة جدًا ، وهي إذا أظهرت تم بها الكلام ، وحذفها أوجز وأبلغ" (٢) . وقد امتدح النحاة والعلماء الحذف — وهو من مظان الاختصار — في اللغة ؛ فهو عندهم "بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المآخذ ، عجيبُ الأمر ، شبيهٌ بالسحر ؛ فإِنَّكَ ترى أن ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عند الإفادة أزيد للإفادة ، وتجد أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبين" (٣) .

فالمعنى الجيد هو هدف الاختصار والاستغناء والحمل والحذف ، وغير ذلك من الوسائل اللغوية ؛ لذلك يقول ابن جني: "رَأَيْتُ غَلَبَةَ الْمَعْنَى لِلْفِظِ وَكَوْنِ الْفِظِ خَادِمًا لِلْمَعْنَى مَشِيدًا بِهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لَهُ وَمِنْ أَجْلِهِ ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنَ الْحَمْلِ عَلَى الْمَعْنَى وَتَرْكِ الْفِظِ ، وَتَذَكُّيرُ الْمُؤَنَّثِ وَتَأْنِيثُ الْمَذْكَرِ ، وَإِضْمَارُ الْفَاعِلِ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ ، وَإِضْمَارُ الْمَصْدَرِ لِدَلَالَةِ الْفِعْلِ عَلَيْهِ ، وَحَذْفُ الْحُرُوفِ وَالْأَجْزَاءِ التَّوَامِ وَالْحَمْلُ وَغَيْرُ ذَلِكَ حَمْلًا عَلَيْهِ وَتَصَوُّرًا لَهُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ وَيُحْمَلُ أَيْسَرُهُ فَأَمْرٌ مُسْتَقَرٌّ وَمَذْهَبٌ غَيْرُ مُسْتَكْرَرٍ" (٤) .

(١) الأصول لابن السراج (٧٤/١) .

(٢) الرد على النحاة ، (ص ٦٩) .

(٣) دلائل الإعجاز ، (ص ١٤٦) ، ينظر : الحصائص (٤٣٢/٢) .

(٤) الحصائص (٢٣٧/١) .

لأن " اللغة هي التعامل بالكلمات ومهمتها حدوث التفاهم بين الجماعة اللغوية لهذا فإن الموقف اللغوي إذا فهم بمجرد ذكر بعض عناصره اللغوية دون البعض الآخر ، جاز الاستغناء عن بعض هذه العناصر من هذا المنطلق " (١).

وذلك لأن " الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ .. " (٢) . وعندما تقوم العرب بالحذف أو الاستغناء أو التضمين أو غير ذلك من وسائل الاختصار التي ذكرنا بعضها ، إنما فعلت العرب ذلك اختصاراً للكلام واستغناءً بقليل الكلام عن كثيره " (٣) . ويقول ابن السراج : "يوضع الكلام للفائدة ، فإذا لم تتحقق الفائدة والمعنى فلا جملة" (٤) ، ويقول تمام حسان : "إن الفائدة والصواب وأمن اللبس حيث توضع ثلاثتها في صورة مبدأ عام يحكم كل نشاط قام به النحاة" (٥).

إذن يهدف الاختصار إلى تحسين المعنى وتوحيد الكلام في اللغة العربية؛ لذلك فما سبق يُعدُّ من أهم أسباب ظاهرة الاختصار .

* السَّبَبُ الثَّالِثُ : الرَّغْبَةُ فِي تَحْقِيقِ الرَّاحَةِ لِلْمُتَكَلِّمِ وَالسَّامِعِ

من الأسباب المنطقية التي تدفع في اتجاه اختصار الكلام والتَّخْلِي عَمَّا لَا طَائِلَ مِنْهُ الرَّغْبَةُ فِي تَحْقِيقِ الرَّاحَةِ الْبَدَنِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ لِلْمُتَكَلِّمِ وَالسَّامِعِ ، وذلك عن طريق توفير الجهد والوقت في توصيل المعاني المنشودة بألفاظٍ محدودة .

وفي ذلك يقول ابن جني : "لأنهم قد يستعملون من الكلام ما غيره أثبت في نفوسهم منه ؛ سعة في التفسيح وإرخاء للتنفس وشحاً على ما حشموه فتواضعوه ، أن يتكارهوه ، فبلغوه ، ويطرحوه ، فاعرف ذلك مذهباً لهم ، ولا تطعن عليهم

(١) الأصول لابن السراج (٧٤/١) .

(٢) دلائل الإعجاز ، (ص ٣٨) .

(٣) الإنصاف (٤٩٢/٢) .

(٤) الأصول (٧٣/١) .

(٥) الأصول لتمام حسان ، (ص ٢٠٨)

مضى ورد شيء منه^(١). ويقول أيضاً: "لا يُنكر أن يكون في كلامهم — العرب — أصولٌ غيرُ ملفوظٍ بها ؛ إلا أنها مع ذلك مُقدَّرةٌ ، وهذا واسعٌ في كلامهم كثيرٌ ، ألا ترى أنهم قد أجمعوا على أصل (قام) (قوم) ، وهم مع ذلك لم يقولوا قط (قوم) ، فلا يُنكر أن يكون هنا أصولٌ مقررةٌ غير ملفوظ بها^(٢). ويقول ابن جني أيضاً: "لأنه لا يُستتكر الاعتداد بما لم يخرج إلى اللفظ ؛ لأن الدليل إذا قام على شيء في حكم الملفوظ به وإن لم يخرج على ألسنتهم استعماله"^(٣). فللإدغام — مثلاً — في اللغة فائدةٌ كبيرةٌ واضحةٌ وهي التخفيفُ والاختصارُ ؛ وذلك لأنَّ التُّطْقَ بالحرفين المثليين (المتشابهين) ثَقِيلٌ ، ولأنَّ المُتَكَلَّمَ يحتاج إلى استخدام العضو الذي يخرج منه الحرف المضاعف مرتين فيكثر العمل على العضو الواحد ، ولذلك حاولوا تخفيفه بأن يضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وَضْعَةً واحدةً ويرفعونها بالحرفين المثليين رفعةً واحدةً لئلا ينطقوا الحرف ثم يعودوا إليه . وإذا جاء الكلام مُختصراً فمما لاشك فيه أنَّ في ذلك توفيقٌ في وقت المتكلم ومجهوده العضلي المعتمد على الجهاز التُّطْقِي والعصبي ، وفي المقابل يفهم السامع ما يريد المتكلم في أقلِّ وقتٍ وجهدٍ دون إرهاق سمعه وأعصابه وحواسه بما لا يفيد ، .. الخ . ولقد أشار إلى ذلك الدكتور ياسر رجب حيث يقول: "ومن القيم المتوخاة أيضاً من وراء الاختصار في اللسان العربي الرغبة في رفع السأم والملل عن النفس باختصار ما هو مفهوم من الكلام"^(٤). ويقول ابن يعيش: "الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ حاز ألا تأتي به ، ويكون مراداً حكماً وتقديراً"^(٥) ، ويقول عبد القاهر الجرجاني عن ترك الذكر السذي ليس له داعٍ مُلِح: "هو بابٌ دقيقُ المسلك ، لطيفُ المآخذ ، عجيب

(١) الخصائص (٣/٣١٩) .

(٢) النصف (١/٣٤٨) .

(٣) الخصائص (٢/٣٤٣) .

(٤) ينظر : الاختصار في الدراسات النحوية ، (ص ٣٥)

(٥) شرح المنفصل (١/٦٤) .

الأثر ، شبيهة بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أريد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبين" (١) .

* السبب الرابع : إرادة التخفيف : وهذا السبب وثيق الصلة بالسبب السابق ، فلئما يهدف الاختصار إلى تحقيق التخفيف على المتكلم والسامع ، ولذلك فالنحاة يؤكدون على : "أنه ليس في الكلام حرفان لمعنى واحد مجتمعان ؛ والعلة في ذلك أن الغرض في هذه الحروف الدوال على المعاني إنما هو التخفيف والاختصار ألا ترى أن (هل) تنوب عن (أستفهم) و(ما) تنوب عن (أنفي)" (٢) . ويؤكد الدكتور ياسر رجب على أن "أهم القيم التي توخاها العرب من وراء الاختصار قيمة التخفيف ، فقد درج العرب على كثره ما هو ثقيل في الكلام والنفرة منه ، والميل إلى ما هو خفيف والسعي إليه" (٣) ؛ ولذلك يبرر ابن جني ميل العرب إلى رفع الفاعل ونصب المفعول فيقول: "نرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرتة ؛ وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون" (٤) . ولقد سبق سيبويه إلى تقرير هذا الأمر عند حديثه عن الضمائر حيث يقول : "إنما أضمرنا ما كان يقع مظهراً استخفافاً" (٥) ، ويؤكد ابن الأنباري ذلك حيث يقول : "والحذف تخفيف ، ومع طول الكلام يناسب الحذف والتخفيف" (٦) . ولقد تأكد لدينا عند الحديث عن مظاهر الاختصار ووسائله مدى حرص العرب على تحقيق التخفيف في كلامهم ، وكما سنرى في شواهد الاختصار تؤكد على إرادة التخفيف لدى العرب .

(١) دلائل الإعجاز ، (ص ١٧٨) .

(٢) ينظر : سر صناعة الإعراب (١/ ٣٧٣) .

(٣) ينظر : الاختصار في الدراسات النحوية ، (ص ٣٤) .

(٤) ينظر : الخصائص (١/ ٤٩) .

(٥) ينظر : الكتاب (١/ ٢٢٤) .

(٦) ينظر : الإنصاف (٢/ ٥٧٥) .

* السَّبَبُ الْخَامِسُ : الْاعْتِمَادُ عَلَى ذِكَاةِ الْعَرَبِيِّ

لم يكن الاختصار ل يتم من دون الاعتماد على الذِّكَاةِ الْعَقْلِيَّةِ لَدَى الْعَرَبِيِّ مُتَكَلِّمًا و سَامِعًا مَعًا ، فتخلف الذكاء لدى أحدهما يُعيق الاختصار ، والمتصفحُ للثَّرَاتِ اللُّغَوِيَّةِ والنَّحْوِيَّةِ يجد تأكيدات من علماء كثيرين تؤكد على أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الحذفُ أو الاستغناء أو الحملُ أو الاختصارُ دون علم المخاطب بما حدث في الكلام ، وكذلك إدراك المتكلم بما يفعل ، وإلا سيكون مثل هذا الأمرُ أمرًا اعتباطيًا عبثًا لا طائل من ورائه ولا فائدة منه ، فمثلاً يُشترطُ أن "يأتي الأتساعُ — أو الاختصارُ — علي سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى" (١) أي : "يُشترط أن يكون المخاطب فاهمًا للمعنى ، ولا يفهم المخاطب ذلك إلا إذا كان هذا التَّحَوُّرُ أو كثر الاختيار من العُرْفِ اللُّغَوِيِّ ؛ أي : من سليقة المتكلم والمستمع معًا وكفاية كل منهما اللغوية ، وهذا هو الجانب الإبداعي في اللغة (٢)" ، ويؤكد العلماء على أن هذه الأمور تُطْلَعُنَا "علي حقيقة العربية ، وميلها إلى الإيجاز الشديد ، وأن المحذوفات في كتاب الله تعالى — لعلم المخاطبين بها — كثيرة جدًا ، وهي إذا أظهرت تمَّ بها الكلام ، وحذفها أوجز وأبلغ" (٣).

.... وبعد فما سبق أهم الأسباب التي أرى أنها تسببت في وجود الاختصار في اللغة العربية ، وذلك لا يمنع وجود أسباب أخرى قد تتأكد لدى الآخرين .

(١) الكتاب لسيبويه (١٠٩/١) .

(٢) النحو والدلالة لحماسة عبد اللطيف ، (ص ٨٦)

(٣) الرد علي النحاة ، (ص ٦٩) .

ثانياً : نتائج الاختصار

لقد نتج عن الاختصار كثير من النتائج التي ستحاول الدراسة رصدها مما أكسب اللغة العربية مكانة سامية وسمات وخصائص رائعة لذلك لا نستغرب قول ابن الأثير " اللغة العربية سيدة اللغات ؛ فهي أشرفهن مكاناً ، وأحسنهن وضعاً ، وذلك لأنها جاءت آخرًا فنفت القبيح من اللغات من قبلها ، وأخذت الحسن ، ثم إن واضعها تصرّف في جميع اللغات السالفة ، فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف" (١) . ومن أهم نتائج الاختصار تمثيلًا لا حصرًا :

أولاً : تفضيل اللغة العربية على سائر اللغات :

لقد كرم الله تعالى لغتنا العربية بأن أنزل بلسانها القرآن الكريم دستور الله القويم ؛ ليرسم لهم طريق الفوز في الدارين، وقد يكون الاختصار سبباً في ذلك، فالله سبحانه وتعالى رحيم بعباده ، يريد ﷻ التعبير عن القيم والمعاني السامية الكثيرة في أقل العبارات، و يقول ﷻ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) ، ويقول ﷻ : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٣) . ولذلك فاللغة العربية بسماتها وخصائصها المتفردة في كثير من الأحيان كانت ولا زالت قادرة على حمل الرسالة ، وتأدية الأمانة والدور المنوط بها الذي قدره الله لها أن تقوم به ، وفي هذا الشأن يقول ابن جني : "إن اللغة العربية لغة نبيك التي فضّلها الله ﷻ على سائر اللغات ، وفرعت بها فيه سامي السدرجات" (٤) ، "وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها ، فهي الوسيلة التي أختيرت لتحمل رسالة الله النهائية ، وليست مترتها الروحية هي وحدها

(١) المثل السائر لابن الأثير (٢٠٦/١)

(٢) سورة يوسف ، الآية (٢) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (١٩٥) .

(٤) الغتب (٣٢/١) .

التي يسموها على ما أودع الله في سائر اللغات من قُوَّةٍ وبيانٍ ، أمَّا السَّعةُ فالأمرُ فيها واضحٌ ، ومن يتبعُ جميعَ اللُّغاتِ لا يجدُ فيها على ما سمعته لُغةٌ تُضاهي اللغةَ العربيةَ^(١) .

ثانيًا : التَّعبِيرُ عَمَّا فِي النَّفْسِ بِأَقْلِ الْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِبِ :

التعبيرُ عَمَّا فِي النَّفْسِ بِأَقْلِ الْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِبِ يُريحُ نفسَ المتكلمِ والسماعِ ويُوفرُ الوقتَ والجهدَ ، ويُؤدِّي الاختصارُ إلى تجويدِ المعنى وإبرازه ؛ فربَّ إشارةٍ أبلغُ مِنْ عِبَارَةٍ كما يقولون ، وهذا الأمرُ واضحٌ ولا يحتاج إلى تفصيلٍ وإطنابٍ . وذلك من أهم النتائج التي تحققت عندما اختصر العرب كلامهم .

ثالثًا : بِالْاِخْتِصَارِ تَتَفَوَّقُ الْعَرَبِيَّةُ الْفُصْحَى عَلَى الْعَامِيَّةِ :

لقد أفرط المُفْرَضُونَ أو الجاهلون في اتِّهامهم للعربية بالجفاف والتعقيد ، والبعد عن الواقع اللغوي اليومي للإنسان العربي ؛ ولذلك فإنَّهُمْ يطالبون بإزاحة اللغة العربية الفصحى عن العربي ، ويريدون استبدالها باللغات العامية أو اللهجات القطريَّة العربية، وهم يُدركون أو يجهلون ما في هذا التَّصَرُّفِ مِنْ خَطَرٍ مُمِيتٍ على اللغة العربية الفصحى^(٢)، وإذا تمَّ لهم ذلك يَتَمَّ هَجْرُ الْقُرْآنِ وتدميرُ غُرَى الإسلام .

والله ﷻ يقول ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾^(٣) ويقول

ﷻ ﴿ إِنَّا نَخْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٤) .

(١) ينظر : الفصحى لغة القرآن ، لأنور الجندى ، (ص ٣٠٦) .

(٢) ينظر : الدرس النحوي في القرن العشرين ، للمؤلف ، (ص ١١٠) وما بعدها

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٣٠) .

(٤) سورة الحجر ، الآية (٩) .

ومن المؤكد أن هذه المحاولات الهدامة برزت أولاً لدى الغرب المتناقض في كل شيء ، فمثلاً في الوقت الذي يرى البريطاني اللورد جراي في مجلس العموم البريطاني أنه " لا تصلح اللغة العربية اليوم لتعليم العلوم" (١) . يؤكد الأستاذ ماسنيون عن عكس الفكرة قائلاً: "إن المنهاج العلمي قد انطلق ، أول ما انطلق ، باللغة العربية ، ومن خلال العربية في الحضارة الأوربية . وإن العربية استطاعت بقيمتها الجدلية ، والنفسية ، والصوفية ، أن تُضفي سربالاً الفتوة على التفكير الغربي" (٢) .

ويقول الأستاذ فنتيجو : "قد صارت العربية لغةً دوليةً للتجارة والعلوم" (٣) .

وفي الوقت الذي يُحاربون فيه العربية يعتقد الجنرال "ديجول" أن السّماح بتداول الكلمات الأجنبية خيانة للشخصية الوطنية !! . وفي سنة ١٧٩٠م " قدمت الجمعية الوطنية في فرنسا خطةً مدروسةً للعمل على التّخلّص من اللهجات المحلية ، والخواص الإقليمية في اللغة قصداً إلى التوحيد اللغوي" (٤) .

وللأسف يذهب بعض علماء العرب مذهب بعض علماء الغرب في تفضيل العامية على الفصحى مع أن الواقع العملي و اللغوي والعملي يؤكد أن اللغة العربية الفصحى أخصر من العامية في كثير من الأحيان ، مما يوفر الوقت والجهد ، ويُحقّق كثيراً من الفوائد فضلاً عن إقامة الشعائر الدينية الواجبة كالصلاة ، وغير ذلك .

ويمكن للقارئ الكريم أن يُثبت دون أدنى عناء أن اللغة العربية الفصحى أخصر من العامية ، وأدق وأفضل عند استخدامها وإتقانها والعودة إلى السليقة اللغوية العربية السليمة خالية من الأدران والمؤثرات ، ولناخذ مظهرًا يؤكد ما نذهب إليه ويمكن للقارئ التعامل مع نماذج وأمثلة أكثر بنفسه ليتحقق ، وذلك على النحو التالي :

(١) ينظر : في الأدب الحديث ، لعمر الدسوقي ، ط ١ ، القاهرة ، (٣٤/٢-٣٥) .

(٢) ينظر : مقال " اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين " لإدريس بن الحسن العنمي .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) ينظر : قضايا لغوية لكمال بشر ، ط دار الطباعة القومية ، القاهرة ١٩٦٢م ، (ص ٩٥) .

٢	جملٌ لمُتحدِّثٌ بالفصحى	جملٌ لمُتحدِّثٌ بالعامية
١	صباح الخير	صباح الخير
٢	لم أتناول إفطاري	أنا مكلتش فطاري / مفطرتش
٣	ألم تحضر الجريدة لنقرأ "الأخبار"	إنت مجبتش لنا الجورنال علشان نشوف الأخبار
٤	لن أذهب للعمل لأن اليوم إجازة "عيد العمال"	مش حروح الشغل علشان النهارده أجازة "عيد العمال" / محروحش
٥	لم أحضر مشروباً لأنني لا أعرف مكان السكر	أنا محضرتش حاجة نشرها علشان أنا مخبرشي فين السكر / معرفشي

والمُدَقَّقُ في العبارات السابقة يعرف بكل سهولة ويسر مدى الجهد الذي يبذله المتحدث بالعامية ، كما يمكن حساب الوقت الزائد الذي يهدره في سبيل التعبير عما يعنيه ، كما أن استبدال بعض الحروف مكان أخرى وإضافة حروف أو حذفها والجمع بين حروف مختلفة المخرج ، ... الخ ؛ كل ذلك مظاهر تؤكد على اعتباطية اللغة العامية في أحيان كثيرة وافتقادها لقانونٍ يُنظِّمُهَا أو يحميها أو يمكن تدريسه أو دراسته ، فهي أقرب إلى الاعتباطية والفوضى اللغوية ، وهذا الأمر يابأه عِلْمُ اللُّغَةِ .

رابعاً : بالاختصارِ تتفوقُ العَرَبِيَّةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ اللُّغَاتِ الأُخْرَى :

مما أكد عليه جمهور العلماء أن الإيجاز أو الاختصارَ صِفَةٌ وَاضِحَةٌ في اللغة العربية . يقول الرسول ﷺ : [أَوْتِنْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ] . ويقول العرب (البلاغة الإيجاز) و(خير الكلام ما قل ودل) و (وَرُبُّ إِشَارَةٍ أَبْلَغُ مِنْ عِبَارَةٍ) .. الخ .

ويُلَحَظُ الاختصارُ أو الإيجازُ في الحرف في العربية حيث تُكْتَبُ الحركاتُ في العربية عند اللبسِ فوق الحرف أو تَحْتَهُ بينما في اللغات الأجنبية تأخذ حجماً يساوي حجم الحرف أو يزيد عليه .

وقد نحتاج في اللغة الأجنبية إلى حرفين مقابل حرف واحد في العربية لأداء صوت معين كالحاء (KH) مثلاً ، ولا نكتب من الحروف العربية إلا ما نحتاج إليه ؛ أي ما تلفظ به ، وقد نحذف في الكتابة بعض ما نلفظ كما في : " لكن - هكذا - أولئك " . بينما في الفرنسية - مثلاً - نكتب علامة الجمع ولا نلفظها ، وأحياناً لا تلفظ نصف حروف الكلمة . ونكتب في الإنكليزية حروفاً لا يمرُّ اللسان عليها في النطق ، كما في كلمة (right) مثلاً التي نسقط عند النطق بها حرفين من حروفها (gh) نشبههما في كتابتها .

وفي العربية إشارة نسميها (الشدة) ، نضعها فوق الحرف لندلّ على أن الحرف مُكْرَّرٌ أو مُشَدَّدٌ ؛ أي أنّه في النطق حرفان ، وبذلك نستغني عن كتابته مُكْرَّرًا ، على حين أن الحرف المُكْرَّرَ في التُّطْقِ في اللغة الأجنبية مُكْرَّرٌ أيضاً في الكتابة على نحو (frapper) و. (recommandation)

ونحن في العربية قد نستغني كذلك بالإدغام عن كتابة حروف بكاملها ، وقد نلجأ إلى حذف حروف . فنقول ونكتب (عَمَّ) عوضاً عن (عن ما) و (مِمَّ) عوضاً عن (من ما) و (بِمَ) عوضاً عن (بما) ومثلها (لِمَ) عوضاً عن (لما) . والإيجاز أو الاختصار في الكلمات العربية واضح جداً ومقارنة كتابة بعض الكلمات بين العربية والفرنسية والإنكليزية نجد الفرق واضحاً ، ولناخذ مثلاً لا حصراً بعض الكلمات الخاصة بالعائلة كما هو موضح بالجدول التالي :

م	العربية	الإنجليزية	الفرنسية
١	أم	mother	mère
٢	أب	father	père
٢	أخ	brother	frère

وليسست العربية كاللغات التي تحمل حالة الثنية لتنتقل من المفرد إلى الجمع ، وهي ثانياً لا تحتاج للدلالة على هذه الحالة إلى أكثر من إضافة حرفين إلى المفرد ليصبح

مثني ، على حين أنه لا بد في الفرنسية من ذكر العدد مع ذكر الكلمة وذكر علامة الجمع بعد الكلمة :

فالمثنى من (الباب) في اللغة العربية (البابان - البابين) ، وأما في الفرنسية فنقول :
(les deux portes) وفي الإنجليزية نقول : (the two doors) .

وأما عن الإيجاز والاختصار في التراكيب العربية فحدث ولا حرج ، فالجملة والتركيب في العربية قائمان أصلاً على الدَّمَج أو الإيجاز والاختصار . ففي الإضافة يكفي أن تضيف الضمير إلى الكلمة وكأنه جزء منها: فـ (كتابه) وفي الفرنسية نقول (son livre) ، و(كتابهم) وفي الفرنسية (leur livre) ، وفي الإنجليزية نقول : (his book) ، (them book) .

وأما إضافة الشيء إلى غيره فيكفي في العربية أن نضيف حركة إعرابية ؛ أي صوتاً بسيطاً إلى آخر المضاف إليه فنقول : (كتاب التلميذ) ، و(مدرسة التلاميذ) ، على حين نستعمل في الفرنسية أدوات خاصة لذلك فنقول :

(l'école des élèves) ، (le livre de l'élève)

وأما في الإسناد فيكفي في العربية أن تذكر المسند والمسند إليه وترك لعلاقة الإسناد العقلية المنطقية أن تصل بينهما بلا رابطة ملفوظة أو مكتوبة ، فنقول مثلاً (أنا سعيد) على حين أن ذلك لا يتحقق في اللغة الفرنسية أو الإنكليزية ، ولا بد لك فيهما مما يساعد على الربط فنقول (I am happy) ،

(je suis heureux) ، وتستعمل هاتان اللغتان لذلك طائفة من الأفعال المساعدة مثل (avoir , être) في الفرنسية ، ونحتاج إلى (to have , to be) في الإنكليزية . كما أن الفعل يمتاز في العربية باستتار الفاعل فيه أحياناً ، فنقول (أكتب) مُقَدِّرِينَ الفاعل المستتر، بينما نحتاج إلى البدء به منفصلاً دوماً مُقَدِّماً على الفعل ففي الفرنسية (je-t...) ، وفي الإنكليزية (I , you ...)

وكذلك عند بناء الفعل للمجهول يكفي في العربية أن تغير حركة بعض حروفه فتقول : كُتِبَ على حين نقول بالفرنسية : (il a été écrit) ، وفي الإنكليزية : (it was written) ، وفي العربية إيجاز واختصار يجعل الجملة قائمة على حرف في بعض الأحيان : (ف) الأمر من (وفي — يفي) ، و(ع) الأمر من (وعى — يعي) ، و(ق) من (وقى — يقي) ، فكلُّ من هذه الحروف إنما يُشكِّلُ في الحقيقة جملةً تامةً؛ لأنَّه فعلٌ وقد استتر فيه فاعله وجوباً .

وفي العربية ألفاظ يصعب التعبير عن معانيها في لغة أخرى. يمثل عددها من الألفاظ كاسماء الأفعال نقول في العربية (هيئات) ونقول في الإنكليزية :

(it is too far) ، و(شتان) (there is a great difference) ، وحرف الاستقبال مثل : (سأذهب) (I shall go) ، و(النفي) أسلوب في العربية يدلُّ على الإيجاز والاختصار أيضاً : ففي العربية : لم أقابله، وفي الإنكليزية :

(I did not meet him) ، وفي الفرنسية (Je ne l'ai pas rencontré) وفي العربية نقول : (لن أقابله) ، وفي الإنكليزية (I will never meet him) وفي الفرنسية : (Je ne le rencontrerai jamais) .

والاختصارُ والإيجازُ في اللغة المكتوبة واضحٌ أيضاً : فمثلاً سورة (الفاتحة) المؤلَّفة في القرآن من (٣١) كلمة استغرقت ترجمتها إلى الإنكليزية (٧٠) كلمة . وفي هذا الشأن يقول الدكتور يعقوب بكر : "إذا ترجمنا إلى العربية كلاماً مكتوباً بإحدى اللغات الأوروبية كانت الترجمة العربية أقلَّ من الأصل بنحو الخمس أو أكثر" .

ويقول ابن الأنباري تحت باب (اللغة العربية أفضل اللغات وأوضحها) : أين لسائر اللغات من السَّعةِ ما للغة العربية ؟ ويستطرد فيضرب لنا مثلاً بقوله : وقد نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية ، والرومية ، وترجمت التوراة ، والزبور ، وسائر

(١) ينظر : العربية لغة عالمية : نشر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ١٩٦٦ م .

كتب الله ﷻ إلى اللغة العربية ، أمّا القرآن فلا يُمكن ترجمته للغات الأخرى ، لأنّ ما فيه من استعارة ، وتمثيل ، وقلب ، وتقديم ، وتأخير ، لا تُتسع له طبيعة اللغات الأخرى .

ثالثاً : ضوابط الاختصار

تحدثنا فيما سبق عن أسباب الاختصار ونتائجه ، وقد تعرّفنا على مكانة الاختصار في اللغة العربية ومكانته عند العرب وأهميته لديهم ، وقد ظهرت لغتنا العربية في هذا المظهر الرائع وهذا الثوب المختصر البديع الدقيق ، ولم يكن ذلك اعتباطياً أو ارتجالياً دون ضوابط أو شروط تحكمه وتُقدّه له ، وفي هذه الأسطر أوجز الحديث عن أهم ضوابط الاختصار وشروطه ؛ كما يلي :

أولاً : ألا يؤثّر الاختصار على تمام المعنى وصحته :

الأصل في اللغة العربية ولدى العرب أن يُؤدّي الاختصار إلى تمام المعنى ؛ لأنّ "من كلام العرب الاختصار المفهم" ، ولذلك يؤكد النحاة والعلماء على أنّه "ليس في الكلام اجتماع حرفين لمعنى واحد ، لأنّ في ذلك نقصاً لما اعتزم عليه من الاختصار في استعمال الحرف" ، وكما يرى ابن السراج أنّه : "قد احتيج إلى جميع حروف المعاني لما في ذلك من الاختصار" . وعليه فإذا كان المعنى واضحاً جلياً جاز الاختصار وإذا أدّى الاختصار بوسائله أو روافده المختلفة إلى لبس أو غموض في المعنى امتنع الاختصار حينئذٍ ، بل يجبُ الاختصار الذي يُؤكدُ المعنى ويُحسنه ويُجودّه ويزيده وضوحاً وتوكيداً ، وهذا يتحقق بفضل الله تعالى مع كثير من وسائل الاختصار ومظاهره ، وكما سنرى فيما بعد مع شواهد الاختصار وأبوابه .

(١) الكامل المبرد (١٧/١ ، ١٨/٣) .

(٢) الخصائص (١٠٧/٣) .

(٣) الأصول لابن السراج (٦٦/١) ، وينظر : شرح المفصل (٩٢/٣) .

ثانيًا : مُوَافَقَةُ الْمُخْتَصَرِ لِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ : وعن ذلك يقول ابن جني :

"العربُ إذا غيّرت كلمةً من صورةٍ إلى أخرى ، اختارت أن تكون الثانية مُشابهةً لأصول كلامهم ومُعتاد أمثلتهم ، وذلك أنَّك تحتاج إلى أن تُنبِئ شيئاً عن شيءٍ ؛ فأولى أحوال الثاني بالصواب أن يُشابه الأول ؛ ومن مُشابهته له أن يُوافق أمثلة القوم ، كما كان المناب عنه مثلاً من مثلهم أيضاً^(١)". وتُدلل علي ذلك أيضاً بما قاله ابن جني^(٢): "وكان أبو الحسن يذهب إلى أن ما غيّر لكثرة استعماله إنَّما تصوّرتُه العربُ قبل وَضْعِهِ ، وعلمت أنَّه لا بد من كثرة استعمالها إياه ؛ فابتدعوا بتغييره ، علماً بأنَّه لا بد من كثرته الدَّاعِيَةِ إلى تغييره ، وهذا في المعنى كقول الشاعر:

رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَيَّ آخِرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا

ويُشترط أن يكون الكلام بعد الاختصار وقبله جيِّداً ، ولكن بعده أجود وأبلغ ، وهذا ما عناه سيبويه بقوله : "لو حَسُنَ الكلام بالذي لا يستغني عنه لحَسُنَ الذي يستغني عنه^(٣)" ؛ أي : إنَّ العرب قد انتقلت بالاستغناء أو الاختصار من كلام فصيح إلى كلام أفصح وأبلغ وأجود ، بل أكثر قدرةً علي إيصال المعنى وتجويده ، فمثلاً إذا قلنا : "فَهِمَ الطَّالِبُ الدَّرْسَ فَذَاكَرَ الطَّالِبُ الدَّرْسَ فَتَجَحَّ الطَّالِبُ فِي الْاِخْتِبَارِ" ، فالكلام السَّابِقُ سَلِيمٌ وَفَصِيحٌ ، وَيُمْكِنُ اختصاره بما لا يتعارض مع قواعد اللغة العربية في قولنا : " فهم الطالب الدرس فذاكره فنجح " .

ثالثًا : اخْتِصَارُ الْمُخْتَصَرِ لَا يَجُوزُ :

ولذلك فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ حذفُ الحرفِ قياساً ، ومن ذلك ما ورد عن ابن جني : "حذفُ الحَرْفِ ليس بقياسٍ ؛ لأنَّ الحُرُوفَ إنَّما دخلتْ الكلامَ لضربٍ من الاختصار ، فلو ذهبت تحذفها لكانت مُختَصِّراً لها هي أيضاً ، واختصارُ الْمُخْتَصَرِ

(١) الخصائص (٦٦/٢ - ٦٧) .

(٢) الخصائص (٣١/٢) .

(٣) الكتاب (٢٨١/٢) .

إجحاف به ، ومن ثم أيضاً لم يجوز حذف المصدر والحال إذا كانا بدلاً من اللفظ بفعلهما ، ولا الحال النابتة عن الخبر ، ولا اسم الفعل دون معموله ؛ لأنه اختصار للفعل (١) .

وفي (شرح التسهيل) لأبي حيان : لا يجوز حذف (لا) من لا سيما ؛ لأن حذف الحرف خارج عن القياس ، فلا ينبغي أن يقال لشيء منه إلا حيث سمع ، وسبب ذلك أنهم يقولون : حروف المعاني إنما وضعت بدلاً من الأفعال طلباً للاختصار ، ولذلك أصل وضعها أن تكون علي حرف أو حرفين ، وما وضع مؤدّياً معنى الفعل واختصر في حروف وضعه لا يناسبه الحذف لها .

وقال ابن هشام في (حواشي التسهيل) : لا يجوز [حذف] جواب أمّا لأن شرطها حذف ، فلو حذف الجواب أيضاً لكان إجحافاً لها . وقال صاحب (البيسط) : "القياس يقتضي عدم حذف حروف المعاني وعدم زيادتها ؛ لأن وضعها للدلالة علي المعاني ؛ فإذا حذفت أخلّ حذفها بالمعنى الذي وضعت له ، وإذا حكم بزيادتها في ذلك وضعها للدلالة علي المعنى ، ولأنهم جاءوا بالحروف اختصاراً لا يسوغ حذفه ولا الحكم بزيادته ، فلهذا مذهب البصريين ، المصير إلي التأويل ما أمكن صيانة عن الحكم بالزيادة أو الحذف (٢) . وقال ابن جني في (الخصائص) تفسير قول أبي بكر أمّا دخلت الكلام لضرب من الاختصار : أنك إذا قلت : ما قام زيد ، فقد أغنت (ما) عن (أنفى) وهي جملة فعل وفاعل ، وإذا قلت : قام القوم إلا زيداً ، فقد نابت (إلا) عن (أستثنى) ، وإذا قلت : قام زيد وعمرو ، فقد نابت (الواو) عن (أعطف) ، وكذا (ليت) نابت عن (أتمنى) ، و(هلم) عن (أستفهم) ، و(الباء) في قولك : ليس زيد بقائم ؛ نابت عن (حقاً) ، وفي قولك : أمسكت بالحبل ، نابت عن المباشرة وملاصقة يدي له ، (ومن) في قولك : أكلت من الطعام ، نابت عن (البعض) ؛ أي

(١) ينظر : الخصائص (٢/ ٢٧٣ ، ٢٨١) ، والأشباه (١/ ٥٦) ، واللباب (١/ ٢٦٨ ، ٢٦٣) .

(٢) ينظر : الأشباه (١/ ٥٦) .

أكلت في بعض الطعام ، وكذا بقية ما لم تُسمَّه ، فإذا كانت هذه الحروف نوابغ عما هو أكثر منها من الجمل وغيرها لم يحز من بعد ذلك أن تُنتهك ويُحذف بها .

قال : ولأجل ما ذكرناه من إرادة الاختصار فيها لم يحز أن تعمل في شيء من الفضلات : الظرف والحال والتمييز والاستثناء ، وغير ذلك ، وعلته أنهم قد أنابوها عن الكلام الطويل لضرب من الاختصار ، فلو أعلموها لنقضوا ما أجمعوه ، وتراجعوا عما التزموه .

ويؤكد العلماء على أن : حذف الحرف ياباه القياس ؛ لأن الحروف إنما جيء بها اختصاراً ونائبة عن الأفعال ، فما النافية نائبة عن أنفي ، وهزمة الاستفهام نائبة عن استفهم ، وحروف العطف عن أعطف ، وحروف النداء عن أنادي ، فإذا أخذت تحذفها كان اختصاراً مختصر وهو إجحاف . إلا أنه ورد حذف حرف النداء كثيراً ؛ لقوة الدلالة على المحذوف ، فصار القرينة الدالة على المحذوف كالتلفظ به . ويقولون أيضاً : ليس الأصل في الحروف الحذف إلا أن يكون مضاعفاً فيُحذف ؛ نحو : إنَّ ولكنَّ ورُبَّ .(١)

ويؤكد ابن جني مراراً على أن : "اختصار المختصر إجحاف" (٢) . وعليه فمن ضوابط الاختصار أو شروطه عدم اختصار المختصر .

(١) ينظر : الخصائص (٢/٢٨١) ، والأشباه (١/٥٦) ، واللباب (١/٢٦٣ ، ٢٦٨) .

(٢) ينظر : شرح المفصل (٨/١١٦) ، وينظر : الكتاب لسيبويه (٤/٢١٨) ، والأشباه (١/٥٨) .

رابعاً : آثارُ الاختصارِ في التَّعْعيدِ النُّحويِّ ١

لقد تحدثنا فيما سبق عن أسباب الاختصار ونتائجه وضوابطه ، وذكر الدكتور ياسر رجب في دراسته القيِّمة عن الاختصار بعض الآثار التي ترتبت على الاختصار في التععيد النحوي ، وإكمالاً للفائدة المرجوة آثرتُ أن أذكر ما توصَّل إليه سعادته ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : بعض المختصر لا يجوز إعماله في غيره ولا تعلُّق غيره به : فمثلاً

حروف المعاني لا تعمل في حال أو تمييز أو ظرف أو استثناء ، أو غير ذلك ؛ لأنها جاءت مختصرة ، فلو أعمل المختصر في غيره ، أو تعلق به لكان نقضاً للغرض من الاختصار ، وتراجعاً عما أراده من وراء المختصر ، وهو إيجاز الكلام وتقليله٢).

وفي هذا الشأن يقول ابن يعيش : "حروف المعاني إنما أتت بما عوضاً من الأفعال ؛ لضرب من الإيجاز والاختصار... ومع ذلك فإنه لا يجوز إعمالها ، ولا تعلق الظرف بها ، والحال ؛ لأن ذلك يكون تراجعاً عما اعتزمه من الإيجاز ، وعوداً إلى ما وقع الفرار منه"٣) ، ويؤكد ابن الشجري على ذلك عندما يقول : "هذه الحروف إنما جاءت نائبةً عن الأفعال ، فلو أعملوها في الأحوال كان إعمالهم بمزلة إظهار الفعل ، وهم إنما جاءوا بها اختصاراً"٤).

ثانياً: الشيء المختصر لا يُزاد ولا يُزاد عليه: فحروف المعاني مثلاً جاءت نائبة عن الأفعال ؛ لأجل اختصار الكلام ، فلو حكم عليها بإمكانية الزيادة لنافى ذلك

(١) اعتمد البحث في هذا الموضوع على بحث "الاختصار في الدراسات النحوية" للدكتور ياسر رجب (ص ٣٠) وما بعدها .

(٢) ينظر : الخصائص (٢/ ٢٧٤) .

(٣) شرح المفصل (٨/ ١٢١) ، وينظر : الإنصاف (١/ ٢٦٣) .

(٤) الأمالي الشجرية (٣/ ٢٣) ، هذا ويستثنى من ذلك بعض حروف المعاني حيث يمكن أن تعمل مثل : ليت زيداً أحرك قائماً ، فنصبوا (قائماً) على الحال بما في (ليت) من معنى التمني ، وإنما أجاز ذلك في مثل هذه الحروف ؛ لما فيها من معنى الفعل وهو (التمني) ولفظ الفعل . ينظر : الخصائص (٢/ ٢٧٥-٢٧٦) .

وضعها للدلالة على ما تدل عليه الأفعال (١) ، وكما أن الشيء المختصر لا يُزاد كذلك لا يجوز الزيادة عليه ، فمثلاً الضمائر مختصرة ولا يجوز الزيادة عليها ؛ لأنّ "المضمر إنما أتى به للإيجاز والاختصار ، فلا يليق به الزيادة " (٢) .

ثالثاً: لا يجوز الجمع بين الحذف (من وسائل الاختصار) والتوكيد:

يؤكد العلماء أن توكيد الكلام ضد اختصاره وإيجازه ؛ لأن التوكيد وسيلة من وسائل إطالة الكلام ، والحذف وسيلة من وسائل اختصاره ، وفي هذا الشأن يقول ابن جني : "التوكيد من أماكن الإسهاب والإطناب والحذف من مظان الاختصار والإيجاز" (٣) ، ويؤكد ابن هشام على ذلك قائلاً : "إن المؤكّد مُريدٌ للطول ، والحاذف مُريدٌ للاختصار" (٤) .

رابعاً: لا يجوز الجمع بين حرفين لمعنى واحد:

هذا يقع أيضاً مع حروف المعنى ؛ لأنّها وُضِعَتْ على الاختصار ، فلا يجوز الجمع بين حرفين لمعنى واحد ، وفي ذلك يقول ابن جني : "ليس في الكلام اجتماع حرفين لمعنى واحد ؛ لأنّ في ذلك نقضاً لما اعتزم عليه من الاختصار في استعمال الحروف" (٥) .
..... وبعد فهناك بعض الآثار الأخرى التي ترتبت على الاختصار في التقعيد النحوي ؛ كمنع الاستثناء من العدد ، وغير ذلك من الآثار التي يُمكنُ تَتَبُعُها وملاحظتها في التّراثِ النّحويِّ من خلال تَتَبُعِ شواهد الاختصار .

(١) ينظر : الأشباه (٥٧/١) .

(٢) شرح المفصل (٩٦/٣) .

(٣) ينظر : الخصائص (٢٨٧/١) ، و (٢٨٠/٢) ، و (٩٥/٣) ، و شرح الكافية (٣٣٦/١) .

(٤) معنى اللبيب (ص ٧٩٣) .

(٥) الخصائص (١٠٨-١٠٧/٣) .

الفصل الثالث

شواهد الاختصار

في الأبواب النحوية والصرفية

ويشتمل هذا الفصل على مظاهر الاختصار وشواهد ودلائله في أبواب النحو والصرف العربي ، وهي كثيرة ، نبدأ الحديث عنها في أبواب النحو العربي ثم نردف ذلك بالشواهد في أبواب الصرف العربي ، ويعقب كل ذلك شواهد في ظواهر لغوية عربية أخرى ، وذلك على النحو التالي :

إن أول ما يبدأ النحاة كلامهم عن أبواب النحو العربي يدرسون باب " الكلمة والكلام " ثم يتابعون دراستهم لباقي أبواب النحو العربي ، وسوف أعرض للأبواب التي فيها شواهد تؤكد ظاهرة الاختصار تمثيلاً لا حصراً ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : الأبواب النحوية

١ — باب الكلمة والكلام : في هذا الباب يُقسَّم النحاة الكلمة إلى ثلاثة أقسام

فقط : " اسم ، وفعل ، وحرف " ، ثم يتحدثون عن علامة كل قسم منهم .

أولاً : الاسم : في هذا القسم يُعرفون بالاسم وعلاماته وشواهد ، ومن علامات الاسم — مثلاً التنوين ؛ وهو عبارة عن نون ساكنة تُنطق ولا تُكتب ، ونضع للتعبير عنه " ضمتين أو فتحتين أو كسرتين " وذلك " رفعاً أو نصباً أو جرّاً " على التوالي . وينقسم التنوين في اللغة العربية إلى أربعة أقسام : " تمكين ، تنكير ، مقابلة ، عوض " ، وتنوين العوض عن محذوف مظهر من مظاهر اختصار الكلام عن طريق الحذف (١) : إذ وجود هذا التنوين يُغني عن ذكر مجموعة من العناصر اللغوية كان لابد من ذكرها لولا هذا التنوين ، وفي ذلك اختصار للكلام ، وقد يكون تنوين العوض عن " حرف أو اسم أو جملة " ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زَلَزَلَتْهَا ۖ وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ ﴾ .

(ص ٢٦)

(١) ينظر : الاختصار في الدراسات النحوية ، د : ياسر

(١) سورة الزلزلة ، الآيات (٤-١) .

فأصل الكلام في الآية قبل دخول التنوين اللاحق للظرف (إذ): يومئذ تزلزل الأرض زلزالها ، وتخرج الأرض أثقالها ، ويقول الإنسان ما لها ، فحذفت هذه الجمل الثلاث ، وناب منها التنوين ؛ اختصاراً للكلام ، يقول ابن يعيش: (إذ) تُضاف إلى الجملة ، فلما حذفت تلك الجملة للعلم بموضعها ، عوض منها التنوين اختصاراً ^(١) ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٣) . وكذلك يحذف الاسم بعد كلمة " كل أو بعض " ويعوض عنها بالتنوين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ^(٤) ؛ أي : وكلهم . ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَذَرٍ وَحَاضِرَةٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمَ

أي : بعضهم لبعضهم ، فحذف المضاف إليه (هم) ، وعوّض عنه بالتنوين .

ومن التنوين هذا أيضاً تنوين عوض عن حرف ؛ وذلك في الأسماء المنقوصة ، فنقول : جوارٍ ، غواشٍ ، محامٍ ، .. الخ ، والأصل : جوارِي ، غواشِي ، محامِي ، .. الخ ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ^(٥) ؛ أي : الجواري . والاسم في اللغة العربية كما بيّنّا — عند الحديث عن تفوق العربية على غيرها من اللغات — له أوزان معروفة فلا يقلُّ عن ثلاثة حروف ولا يزيد عن ستة ، وقد يأتي الاسم على حرفين ولكن مع تقدير محذوف ؛ نحو : أب ، أم ، أخ ، يد ، دم ... الخ . وهذا مظهر من مظاهر الاختصار في الاسم في اللغة العربية .

(١) شرح المفصل (٣٠/٩) .

(٢) سورة الواقعة ، الآية (٨٤) .

(٣) سورة الروم ، الآية (٤) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٣٣) .

(٥) سورة الشورى ، الآية (٣٢) .

ثانيًا : الفعل : يدلُّ الفعل على المصدر بلفظه ، وعلى الزمان بصيغته ، ودلالته على المكان دلالة عقلية ، فلا فعل إلا في مكان ، وكل هذه الدلالات المتنوعة حواها لفظٌ واحدٌ قام مقامها هو لفظ الفعل ، وفي هذا اختصارٌ (١) . ولقد قسّم الشحادة العرب الفعل في اللغة العربية إلى ثلاثة أقسامٍ فقط :

أ - الفعل الماضي : وهو : حدثٌ اقترن بالزمن الماضي ، أو حدثٌ وقع قبل زمن التكلّم ؛ نحو: (ضرب ، قاوم ، استخرج .. الخ) ، وللفعل في اللغة العربية أوزانٌ محدّدةٌ كما نعرف وسنذكر ذلك عند حديثنا عن الميزان الصرفي .

وللفعل الماضي في اللغة العربية تسمية واحدة أمّا في الفارسية مثلاً فله خمسُ صُورٍ (ماضي قريب ، ماضي بعيد ، ماضي بسيط ، ماضي مركب ، ماضي مطلق) ، وفي الإنجليزية (ماضي بسيط ، ماضي تام ، ماضي مستمر) ، والفعل الأصلي في الجملة الإنجليزية له فعل مساعد (be , have) ، وإذا أخذنا بعض الأمثلة للفعل الماضي في اللغة العربية وقارناها بما تدلُّ عليه في اللغة الإنجليزية مثلاً لاحظنا بلا شك أن الأفعال العربية أنحصر من الإنجليزية مثلاً ، وذلك كما في الجدول التالي :

م	العربية	الإنجليزية
١	كَتَبَ	He wrote
٢	اُنْتَبِهَ	He was on one's guard
٣	قَبِلَتْ	She accepted
٤	تَعَاوَنَا	They helped one another
٥	اسْتَعْلَمُوا	They gathered information

(١) الأشباه (٥٥/١) .

ولكي يتضح أيضًا الاختصار جليًا نترجم الفعل الماضي (كَاتَبَ) إلى الإنجليزية نجده
(he kept up a correspondence with) ، .. الخ .
وكذلك عند بناء الفعل للمجهول يكفي في العربية أن تُغَيَّرَ حركة بعض حروفه
فتقول : (كُتِبَ) على حين نقول بالفرنسية (il a été écrit) ،
وفي الإنكليزية . (it was written) .

ب — الفعل المضارع :

هو : حدثٌ مقترنٌ بالزمن الحاضر — زمن التكلم — ويجوز استمراره مستقبلًا ؛
نحو : (يذاكر ، يستفهم ، يجاهد ، .. الخ) ، وله تسمية واحدة في اللغة العربية ، أمّا
في الإنجليزية مثلاً (المضارع البسيط ، المضارع المستمر ، المضارع التام — والمستقبل
البسيط ، والمستقبل المستمر ، المستقبل التام) .
وعندما تسبقه مثلاً أداة جزم للفعل المضارع يُحذف حرف العلة ؛ نحو : (لم يَقُلْ ،
لم يَدَعُ ، لم أَكْ .. الخ) ؛ وذلك إعرابًا واختصارًا .
والجدول التالي يوضح مدى اختصار الأفعال المضارعة باللغة العربية مقارنة باللغة
الإنجليزية :

م	العربية	الإنجليزية
١	يكتب	He writes
٢	تلعب	You play
٣	يفهموا	They make
٤	يقاتلان	They combat
٥	يقمن	They rise

كما أن الفعل نفسه يمتاز في العربية باستتار الفاعل فيه أحياناً، فنقول (اكتبْ)
مُقَدَّرِينَ الفاعل المُسْتَتَر، بينما نحتاج إلى البدء به منفصلاً دوماً مُقَدِّماً على الفعل كما

هو الأمر في الفرنسية (je-tu...) ، وفي الإنكليزية (I ,you...) ، وكذلك عند بناء الفعل للمجهول .

وحرف الاستقبال مثل : (سأذهب) نقول في الإنكليزية (I shall go)

والنفي أسلوب في العربية يدل على الإيجاز ، ففي العربية : (لم ألقه) ، وفي الإنكليزية : (I did not meet him) ، وفي الفرنسية : (Je ne l'ai pas rencontré) .

وفي العربية : (لن ألقه) ، وفي الإنكليزية : (I will never meet him) ، وفي الفرنسية : (Je ne le rencontrerai jamais) ومظاهر الاختصار في الفعل المضارع كثيرة جداً ولا داعي للإطالة فالمر واضح كما أرى .

ج - فعل الأمر : حدث يُطلب حدوثه بعد زمن التكلم ؛ نحو (ذاكِرْ ، خُذْ ، استخرجْ ، .. الخ) ، وقسم كبير من هذا الفعل يأتي علي حرفين ؛ نحو (دَعْ ، كُلْ ، نَمْ ، .. الخ) ، وقد يأتي الفعل في صورة الأمر على حرف واحد ؛ نحو : (ع ، ف ، ق ، .. الخ) ولا يزيد الفعل على ستة أحرف . كما لا يخفى الاختصار عند الاستغناء بفعل الأمر المخاطب عن الفعل المضارع للمخاطب ؛ إذا أريد توجيه الأمر للفاعل ، إذا كان مخاطباً ، وقال الشلوبيين في شرح الجزولية : الفاعل إذا كان مخاطباً في أمره وجهان :

أحدهما : أن يبنى فعل الفاعل بناءً مخصوصاً بالأمر وهو بناء (افْعَلْ) وهو بمعناه ؛ نحو : قُمْ واقْعُدْ واذْهَبْ ، .. الخ .

والثاني : أن يدخل لام الطلب على فعله المضارع ؛ فيقال : لِقُمْ وَلِتَقْعُدْ لِتَذَاكِرْ . والأجود الأول ؛ لأنه أخصر ؛ فاستغنوا بالأخصر عن غيره (١) .

(١) الأشباه (١/٥٥) ، و ينظر : شرح المقدمة الجزولية (٢/٤٩٣) .

وعند المقارنة يتضح جلياً مدى الاختصار في اللغة العربية في هذا الشأن ، والجدول الآتي يوضح بعض هذا الاختصار :

م	العربية	الإنجليزية
١	اكتب	Write
٢	العب	play
٣	احذر	Be cautious
٤	اخرجن	Go out
٥	توقف	stop

ولا يخفى الاختصار المتمثل في اشتمال الفعل على الفاعل في قولنا : قُمْ ، نَمْ ، ذاكِرْ ، .. الخ .

* اسم الفعل : وهو ألفاظٌ تدل على معنى الفعل ولكن لا تحمل علاماته ، ويعتبر اسم الفعل من مظاهر الاختصار أيضاً ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ - اسم فعل ماضي : نحو : هيهات ، شتان ، .. الخ .

ب - اسم فعل مضارع : نحو : أف ، وي ، آه ، .. الخ .

ج - اسم فعل أمر : نحو : صه ، مه ، حذار ، .. الخ .

وعن اسم فعل الأمر يقول ابن الأنباري : " ما جاء من الأسماء مُضَمَّنًا معنى الأمر ؛ نحو : صه ، ومه ، وما أشبه ذلك ؛ فإنه أقيمَ مَقَامَ الأفعال وهي الأصل في الأمر ، وإِنَّمَا فعلوا ذلك تَوْحِيًّا للاختصار ؛ لئلا يفتقر إلى إظهار ضمير التثنية والجمع والتأنيث الذي يظهر في الفعل ؛ نحو : اسكتا ، واسكتوا واسكنن ، وما أشبه ذلك " (١) .

(١) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف (١/١٤٤) .

وعليه فإنَّ في العربية ألفاظًا يَصْعُبُ التعبيرُ عن معانيها في لُغَةٍ أُخْرَى بمثل عددها من الألفاظ كاسمِ _____اء الأفعــال .

نقول في العربية : (هَيْهَاتَ) ، ونقول في الإنكليزية : (it is too far) ، ونقول : (شَتَّانَ) ، وفي الإنجليزية : (there is a great difference)

ومما سبق يَتَضَحُّ لَنَا مَدَى الاختصارِ الموجود في الاسم والفعل بأنواعه ، واسم الفعل ، وكذلك الحرف ؛ فهو مُخْتَصَرٌ فِي ذَاتِهِ ؛ لِأَنَّهُ وُضِعَ عَلَى الاختصارِ (١) ، وسنؤكد ذلك فيما بعد بإذن الله عند حديثنا عن حروف المعاني .

٢- الإعرابُ والبناءُ :

هذا الباب يتحدث النحاة فيه عن مفهوم الإعراب والبناء ، ثم يتحدثون عن المُعْرَب من الأسماء والأفعال ثم المبني من الأسماء والأفعال والحروف ، وتحلى مظاهر الاختصار وشواهد في هذا الباب النحويِّ الكبير في معظم مسائله ، وبيان ذلك في المواضع الآتية :

أ- الحركات الإعرابية : يعدُّ العلماء الإعراب بحركات الإعراب وسيلة من وسائل اختصار الكلام ؛ إذا ما وضع الإعراب بالحركات كنظير للإعراب بالحروف ، "فلا شكَّ أنَّ الإعراب بالحركة أخصر من الإعراب بالحرف" (٢) ؛ وذلك "لأنَّ الحركة أخصر من الحرف" (٣) .

ب - باب المثني : وهو كل مفرد زيد على آخره (ألف ونون) في حالة الرفع و(ياء ونون) في حالتي النصب والجرِّ ، والثنية ضربٌ من الاختصار ؛ فمثلاً قولنا : (أقبل رجلان) أخصر من قولنا : (أقبل رجلٌ ورجل) ، "فرجلان أخصرٌ وأخفُّ" (٤) .

(١) ينظر : الخصائص (٢٧٣/٢) ، واللباب (٣٥٥/١) ، وغيرهما .

(٢) الاختصار في الدراسات النحوية (ص ٢٩) .

(٣) الأشباه (٣٨٧/١) ، و شرح شذور الذهب (٥٧/١) .

(٤) ينظر : شرح المفصل (١٣٧/٤) ، (٢/٥) .

والعرب عدلت عن الأول للمثني كراهية منهم للتطويل والتكرار .
 و"أصل التثنية العطف من قولك : ثَبَّيتَ العود ؛ إذا عطفته ، وكان الأصل أن يُعطف اسم على اسم ، وقد جاء من ذلك في الشعر كثيرٌ ، لكنهم اكتفوا باسم واحدٍ وحرفٍ ، وجعلوه عوضًا من الأسماء المعطوفة اختصارًا" (١).
 فقولك : جاء الرجلان ، ومررت بالزَيدَين ؛ أصله : جاء الرجل والرجل ، ومررت بزيد وزيد ، فحذفوا العاطف والمعطوف ، وأقاموا حرف التثنية مقامها اختصارًا (٢).
 فمثلاً (الباب) تثني على (البابان) في الرفع أو (البابين) في النصب والجر ، وفي اللغة الإنجليزية يقولون : (the two doors) .

ج — باب جمع المذكر السالم : وهو كل مفرد زيد على آخره (واو ونون) في حالة الرفع و(ياء ونون) في حالتي النصب والجر ، ففي باب جمع المذكر السالم نقول : (مؤمنون) ؛ اختصارًا لقولنا : (مؤمن ومؤمن ومؤمن و...) ، وعن ذلك يقول ابن يعيش : "لأن التعبير باسم واحد أخفُّ من الإتيان بأسماء مُتَعَدِّدَةٍ ، ورُبَّمَا تَعَذَّرَ إحصاء جميع آحاد ذلك الجمع وعطف أحدهما على الآخر" (٣) . ويرى النحاة أن العرب "لما التزموا في تثنية المُتَفَقِّينِ ما ذكرناه من الحذف ، كان التزامه في الجمع مما لا بُدَّ منه ولا مندوحة عنه ؛ لأن حرف الجمع ينوب عن ثلاثة فصاعدًا إلى ما يُدْرِكُهُ الحصر" (٤).

د — باب جمع المؤنث السالم : هو كل اسم دلَّ على أكثر من اثنين بزيادة ألف وتاء على مفرده ؛ بعد حذف تاء التأنيث من المفرد المختوم بها ، وما يهمننا في هذا الباب هو أن العرب قد استغنت بهذا الجمع عن العطف (كما حدث مع جمع المذكر

(١) الباب (٩٦/١) ، وأسرار العربية (٦٤/١) .

(٢) الأمانى الشعرية (١٣/١) .

(٣) شرح المفصل (٢/٥) .

(٤) الأمانى الشعرية (١٣/١) .

السالم) ؛ فبدلاً من قولهم : (سيدة وسيدة وسيدة ..) ؛ استغنوا عن كُـلِّ ذلك واختصروا وقالوا : (سيدات) ؛ لما فيه من الإيجاز والاختصار ، وذلك من أهم سمات اللغة العربية .

وكذلك استغنوا بقولهم "سُـرَادِقَات ، حَمَامَات ، بُـوَانَات ، مُسَجَّلَات ، سِـبْطَرَات" والتي مفرداتها على الترتيب : "سرادق ، حمام ، بوان ، مسجل ، سبطر" ، فعلى الرُّغْمِ من أن هذه الكلمات مُذَكَّرَةٌ ؛ فقد جمعوها جمع مؤنث سالم واستغنوا عن به جمع التكسير (١) .

ومن النصف أن نقول أن اللغة الإنجليزية — مثلاً — في باب الجمع قد تكون أخصر من العربية أحياناً أو في مستوى اختصارها ، فمثلاً : (الرجل ، الرجال) (المرأة ، النساء) ، يقابلها في الإنجليزية : (the men—the man) (the womn—the womns) ، وذلك بإبدال حرف من دون زيادة كما في العربية ، أو بزيادة حرف (S) للجمع ، كما لا يوجد فيها تقسيمات الجمع كما في العربية ، فالكلام فيها إمّا مفرداً أو جمع ، ولا يُـوجد فيها المثنى ، ولكنَّ ذلك إنكارٌ لواقع عددي موجود ولم تغفله العربية في حين أنكرته الإنجليزية وأخواتها على الرُّغْمِ من اعترافهنَّ بالعدد (٢) (tow) ، وقد ذكرت ذلك سلفاً . وقد تحدثت عن بعض مظاهر الاختصار في جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم وسأتابع الحديث عن جمع التكسير في باب من أبواب الصرف فيما بعد بإذن الله تعالى .

٣- التَّكْرَةُ وَالْمَعْرِفَةُ :

في هذا الباب يتحدث النحاة عن موضوعين مُتلازمين هما التكررة والمعرفة ، ولا داعي للدخول في تفاصيل هذا الباب ، و لكن ما يهمنا هو معرفة أوجه الاختصار في هذا الباب ، وذلك على النحو التالي :

أ- **التَّكْرَرُ** : وهي الاسم المجهول غير المُعَيَّن ، ويُفيد الشبوع والعموم ، وفي التكررة ما يُفيد الاختصار كالألفاظ الدالة على العموم في غير الإيجاب تقوم مقام كلام كثير ؛ مما يؤدي إلى اختصار الكلام بوجودها ، وعن ذلك يقول السيوطي : "الألفاظ المألوفة للعموم كأحد" (١) ، فإذا قلت : "هل عندك أحد ؟ أغناك ذلك عن أن تقول : هل عندك زيد ، أو عمرو ، أو جعفر ، أو سعيد ، أو صالح ، ؟ فتطيل ، ثم تقصر إقصار المُعْتَرِفِ الكليل" (٢) .

ب - **المعرفة** : تشتمل المعارف في الاسم على سبعة أنواع : (الضمائر ، العلم ، اسم الإشارة ، الاسم الموصول ، الاسم المحلى بأل ، المضاف إلى معرفة ، المنادى المعين) ، وكما مر فلسنا بصدد دراسة هذا الأنواع دراسة تقليدية ، وإنما أهدف إلى معرفة أوجه الاختصار فيها ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً : الضمير : هو نوع من الأسماء المختصرة ، ويقول السيوطي في هذا الشأن : " لقد وُضِعَ الضمير في اللغة العربية لِضَرْبٍ من الاختصار" (٣) ؛ لأنَّ الضمائر أخصر من الظواهر خصوصاً ضمير الغيبة ، فإنه يقوم مقام أسماء كثيرة ، وفي ذلك يرى ابن يعيش أن " المضمرة وُضِعَتْ نائبةً عن غيرها من الأسماء الظاهرة لضرب من الإيجاز والاختصار" (٤) . ويؤكد السيوطي أن الضمير (هم) في قوله تعالى : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (٥) قام مقام عشرين ظاهراً ...!! (٦) .

(١) الأشباه (٥١/١) .

(٢) الخصائص (٨٢/١) .

(٣) ينظر : شرح المفصل (٨٤/٣) ، (٩٢/٣) ، وشرح التصريح (٩٨/١) ، وشرح الكافية (٧/٢) ، والأمالي

الشرحية (٩٠/١) ، والأشباه للسيوطي (٥٣،٥٥/١) .

(٤) شرح المفصل لابن يعيش (٩٢/٣) .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية (٣٥) .

(٦) الأشباه والنظائر (٣٠/١ - ٣١) .

وتفاوتت الضمائر فيما بينها في درجة الاختصار ، فلا " يُؤْتَى بالضمير المتفصل مع القُدْرَةِ على المتصل ؛ لأنَّ عِلَّةَ الإتيانِ بالضميرِ الاختصارُ ، والمتصلُ أَخْصَرُ " (١) . فمثلاً " استغنوا بالأخصر عن غيره . كما استغنوا بالضمير المتصل عن الضمير المنفصل في قولك : (قمتُ) ، ولم يقولوا : (قام أنا وقمتُ) ، ولم يقولوا : (قام أنت) " (٢) .

ويرى النحاة أنَّ الضمير المُستتر أكثر الضمائر دلالة على الاختصار والإيجاز ، ولذلك يرى الرضي أنَّ الضمير المستتر أصلاً للضمائر ، ولذلك يقول : " اعلم أنَّ أصل الضمائر المتصل المستتر ؛ لأنَّه أَخْصَرُ من المنفصل ، ثم المنفصل عند تعذر الاتصال ، فلا يُقال : "ضرب أنا" ؛ لأنَّ "ضربت" مثله معنى ، وأخصر منه لفظاً " (٣) . وَمِمَّا يُؤَكِّدُ الاختصارَ في الضمائر : " أَتَكَ تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكماله — كما سبق — فيكون ذلك الحرف كجزءٍ من الاسم " (٤) ، فبدلاً من قولنا : "... من زيد" ، نقول : "... منه" .

ثانيًا : العَلَمُ :

هو الاسم الذي يُعَيِّنُ معناه مُطلقاً ؛ أي بلا قيدٍ ؛ فهو ليس كالضمير مثلاً يدلُّ علي معناه بقرينة . ومن الجدير بالذكر وجود أقسام للعلم (٥) فهو : علم شخص ، أو علم جنس ، ومنه العلم المركب ، ومنه العلم : (اسم أو كنية أو لقب) ، ولا داعي للإطالة ؛ فقد وضَّح النحاة هذا الباب وذكرُوا شواهده وشوارده ، والمهم هنا قول ابن يعيش : "إنَّما أُتِيَ بالأعلام للاختصار وترك التطويل بتعداد الصفات ، ألا تري أنه

(١) اللباب (٤٨٣/١) .

(٢) الأشباه (٥٥/١) .

(٣) شرح الكافية (١٣/٢) ، وينظر : شرح المفصل (١٠١/٣ ، ١٠٢ ، ١٠٨) ، وشرح التصريح (٩٨/١) .

(٤) شرح المفصل (٨٤/٣) .

(٥) ينظر : الكتاب (٩٦/٢) ، ومعظم كتب النحو العربي .

لولا العَلَمُ لاحتجت إذا أردت الإخبار عن واحدٍ من الرِّجَالِ بعينه أن تُعدد صفاته حتى يعرفه المخاطب ، فأغنى العلم عن ذلك أجمع (١) . ولهذا المعنى قال النحاة : " العَلَمُ عبارةٌ عن مجموع صفات (٢) " . وعندما نقول مثلاً : حضر العقاد ، أغنانا عن قولنا : حضر الرجل ، العالم ، العاقل ، الشاعر ، الأديب ، الناقد ، وغير ذلك من الصفات ، وفي ذلك اختصاراً .

ثالثاً : أسماء الإشارة : اسم الإشارة : هو كل اسم دلَّ على مُسمًى أو أشار إلى ذلك المُسمًى ، وفي استخدام أسماء الإشارة اختصار واضح ، ومن ذلك قولن : هنا الحديقة ، وهذا الطلب الناجح ، .. الخ .

وهذا النوع — أعني الإشارة — ما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال : " هو أن يكون اللفظ القليل مُشتملاً على المعنى الكثير بإيماءٍ ولحَةٍ تَدُلُّ عليه ؛ كما قيل في صِفَةِ البلاغة : هي لِحَةٌ دَالَّةٌ ، وتلخيص هذا الشرح : إنَّه إشارةُ المُتَكَلِّمِ إلى المعاني الكثيرة بلفظٍ يُشْبِهُ لقلته واختصاره بإشارة اليد ؛ فإنَّ المُشِيرَ بيده يُشير دفعةً واحدةً إلى أشياءٍ لو عُبِّرَ عنها بلفظٍ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة ، ولا بُدَّ في الإشارة من اعتبارِ صِحَّةِ الدَّلَالَةِ وَحُسْنِ البَيَانِ مع الاختصار ؛ لأنَّ المُشِيرَ بِيَدِهِ إنَّ لَمْ يَفْهَمْ المُشَارَ إليه معناه فإشارته مَعْدُودَةٌ مِنَ الْعَبَثِ " (٣) .

رابعاً : الاسم الموصول : والموصول بشقيه الحرفي (أن ، أن ، كي ، ما ، لو) والاسمي المشترك (مَنْ ، ما ، أي ، ذا ، ذو ، أل) والاسمي الخاص (الذي ، التي ، اللذان ، اللتان ، الذين ، اللاتي واللاتي) فيه اختصارٌ لا يُخْفَى .

خامساً : المَعْرِفُ بِأَل : وهو الاسم النكرة الذي يتم تحويله عن طريق إلحاق (أل)

(١) ينظر : الكتاب (٢٩٦/٢) ، والخصائص (٢٧٠/٣) ، وشرح الكافية (٢٥٤/٢) ، والأشباه (٥٤/١) .

(٢) ينظر : شرح المفصل (١٠٤/٢) ، والأشباه (٥٤/١) .

(٣) ينظر : خزنة الأدب (٢٥٨/٢) .

في أوله ، فـ : رجل ، ولد نقول فيهما : الرجل ، والولد ، والتعريف (بأل) يغنينا عن ذكر كثير من الكلمات وفي ذلك اختصار لا يخفى على أحد .
سادساً وسابعاً : يُمكنُ للمتَكَلِّمِ العربيُّ أنْ يُدركَ مَدَى الاختصار أيضاً في المُضَافِ إلى معرفة وكذلك المُنادى المُعَيَّن ، فلا داعي للإطالة والإطناب .

٤- باب المبتدأ والخبر :

يُحذف المبتدأ أو الخبر للإيجاز والاختصار ، وهذا مشهور في الدرس اللغوي العربي ، ومن ذلك ما يلي :

أ - حذف المبتدأ جوازاً : وذلك في المواضع الآتية :

١- في جواب الاستفهام : ومن شواهد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴾ تَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ﴿ ١ ﴾ ؛ أي : الحطمة نار الله الموقدة . ومن ذلك قولنا : متى السفر ؟ فيكون الجواب : غداً ؛ أي : السفر غداً .

٢- بعد فاء الجواب : ومن ذلك قوله تعالى ﴿ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ۚ ﴾ ﴿ ٢ ﴾ ؛ أي : فعمله لنفسه ، فالإساءة عليها . ومن ذلك قولنا : مَنْ نجح في عمله فله ؛ أي : فنجاحه له .

٣- بعد القول : ومنه قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ ﴾ ﴿ ٢٠ ﴾ ؛ أي : وقالوا : هي أساطير الأولين .

ب - حذف الخبر جوازاً : وذلك في المواضع الآتية :

(١) سورة الهزرة ، الآيتان (٥ - ٦) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٤٦) .

(٣) سورة الفرقان ، الآية (٥) .

١- في جواب الاستفهام : ومن شواهد ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ (١) ؛ أي : قل : الله رب السماوات والأرض . ومن ذلك قولنا : مَنْ عندكم ؟ تكون الإجابة : محمد ؛ أي : محمدٌ عندنا .

٢- إذا دُلَّ عليه دليلٌ : ومن ذلك قوله تعالى ﴿ أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ (٢) ، ومن ذلك قول الشاعر : نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
٣- بعد إذا الفجائية : ومنه قولنا : خرجتُ فإذا السبعُ ؛ أي : السبعُ موجودٌ .
ج - حذف المبتدأ وجوباً : وذلك في المواضع الآتية :

١- إذا كان الخبر صريحاً في القسم : ومن ذلك قولنا : " في ذمتي لأذاكرن " ؛ فالتقدير " يمين أو قسم في ذمتي " .

٢- إذا كان الخبر مصدراً يؤدي معنى فعله : ومنه قوله تعالى : ﴿ فَصَبِّرْ حَمِيلٌ ﴾ (٣) ، والتقدير : " صبري صبر جميل " ؛ فحذف المبتدأ وجوباً ؛ لأن الخبر : مصدر يؤدي معنى الفعل .

٣- النعت المقطوع إلى الرفع : من المشهور أن النعت يتبع المنعوت رفعاً ونصباً وجراً ، ولكن هناك مواضع لا يتبع النعت منعوته فيها بل يُرفعُ ، وذلك في : المدح أو الذم أو الترحم ؛ ومن ذلك : الذم قولنا : " بئس الخلقُ الخيانة " ، والتقدير : " المذمومة الخيانة " . وفي المدح : قولنا : " مررت بزيد الكريم " ، والتقدير : " هو الكريم " فحذف المبتدأ وجوباً ، ومنه قولنا " نعم الكتاب كتابُ الله " ، والتقدير : " الممدوح كتابُ الله " . ونقول في التَّرحُّم : " مررت بعلي المسكين " فالتقدير : " هو المسكين " .

(١) سورة الرعد ، الآية (١٦) .

(٢) سورة الرعد ، الآية (٣٥) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (٨٣) .

د — حذف الخبر وجوباً : وذلك في المواضع الآتية :

١ — إذا كان المبتدأ لفظاً صريحاً في القسم : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(١) ؛ والتقدير : "لعمرك قسمي" ، ومن ذلك قولنا : "يمينُ الله لأذهبن" ؛ التقدير "يمين الله قسمي" .

٢ — إذا وقع المبتدأ بعد (لولا) الامتناعية : ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِّينَ ﴾^(٢) ؛ والتقدير : "لولا نعمة ربي موجودة" ، ومن ذلك قولك : "لولا زيد لأيتك" ؛ والتقدير : لولا زيد موجود لأيتك" .

٣ — أن يقع المبتدأ بعد واو المعية : ونقصد بذلك أن تكون "الواو" ظاهرة في المعية مع كونها للعطف ، والمعية معناها مشاركة ما بعد "الواو" لما قبلها من أمر ؛ بحيث يجتمعان فيه ، وهذه الواو يصح حذفها ونقدر مكانها كلمة "مع" ولا يتغير المعنى ؛ ومن شواهد ذلك قولنا : "كل رجل وصنعتة" ؛ فالتقدير : "كل رجل وصنعتة مقترنان" ، ومنه كذلك قولنا : "كل جندي وسلاحه" ، "كل فلاح ومحراثه" ، "كل طالب وكتابه" ، فالخبر في هذه الشواهد محذوف وجوباً تقديره : "متلازمان" .

٤ — إذا كان المبتدأ مصدرًا وقعت بعده حال سدت مسد الخبر ؛ ومن شواهد ذلك قول الرسول الكريم ﷺ [أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد] ، فالمبتدأ "أقرب" والخبر محذوف وجوباً ؛ لأن جملة الخبر "وهو ساجد" حال سدت مسدّه . ومن ذلك قول الشاعر :

خَيْرُ اقْتِرَائِي مِنَ الْمَوْلَى حَلِيفُ رِضَا وَشَرُّ بُعْدِي عَنْهُ وَهُوَ غَضَبَانُ

فكلمة "شرُّ" مبتدأ ، وجملة "وهو غضبان" حال سدت مسد الخبر .

(١) سورة الحجر ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة الصافات ، الآية (٥٧) .

٥- باب " كان وأخواتها " :

في باب كان وأخواتها أيضًا الكثير من شواهد الاختصار ، ومن ذلك :

— حذف النون من مضارع (كان) : وذلك في الجزم ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَمْ أَكُ

بَغِيًّا ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى

: ﴿ وَإِنَّ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفُهَا ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ (٤) ،

وغيرها من الشواهد .

— الحذف في باب كان وأخواتها : وله عدة صور تدل على الاختصار ومنها :

أ- حذف (كان) مع إبقاء الاسم والخبر : نحو قولنا : "أما أنت غنيًا فتصدق" ؛ أي

: "أما كنت غنيًا فتصدق" . ويقول السيوطي عن الاختصار هنا : " وتركيب "أما"

المفتوحة من "أن" المصدرية و"ما" المزیدة عوضًا من كان في نحو : أما أنت منطلقًا

انطلقت " (٥) . ومن شواهد هذه المسألة قول العباس بن مرداس :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَأْكُلْهُمْ الضُّبُعُ

ب — حذف (كان) مع اسمها وإبقاء الخبر : وهذا جائز وكثير بعد (إن ، لو)

الشرطيتين ، ومن ذلك قول النبي ﷺ [النَّاسُ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ،

وإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ] ؛ والتقدير : " إِنْ كَانَ الْعَمَلُ خَيْرًا ، وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ شَرًّا " ، ومن

ذلك قول الشاعر :

(١) سورة مريم: من الآية (٢٠) .

(٢) سورة النحل: من الآية (١٢٠) .

(٣) سورة النساء: من الآية (٤٠) .

(٤) سورة التوبة: من الآية (٧٤) .

(٥) (٢٤٢/١) ،

(٥) الأشباه (٥٣/١) ، وينظر : شرح

لا يَأْمَنُ الدَّهْرُ ذُو بَغْيٍ وَلَوْ مَلِكًا جُنُودُهُ ضَاقَ عَنْهُمْ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
أي : ولو كان ذو البغي ملكًا . ومنه قول الرسول الكريم ﷺ : [التَّمَسُّ وَلَوْ خَاتَمًا
مِنْ حَدِيدٍ] ؛ والتقدير : ولو كان الملتمس خاتمًا .

ج - حذف (كان) مع خبرها وإبقاء اسمها : وهذا أيضًا جائز بعد (إن ، لو)
الشرطية ؛ ومن ذلك قولنا : المرء مُحَاسَبٌ عَلَى عَمَلِهِ ؛ إن خيرًا فخيرٌ ، وإن شرًّا
فشرٌّ ، والتقدير : إن كان في عمله خيرٌ فجزاؤه خيرٌ .

د - حذف (كان) مع اسمها وخبرها : هذا الأمر واجبٌ بعد (عن) الشرطية ، ومن
ذلك قول الشاعر

قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلَمَى وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا مُعْدَمًا ؟ قَالَتْ : وَإِنْ

والتقدير : وإن كان فقيرًا معدمًا ، وعن ذلك يقول ابن مالك :

وَيَحْذِفُونَهَا وَيُقَوِّنُونَ الْخَبْرَ وَبَعْدَ (أَنْ) وَ (لَوْ) كَثِيرًا إِذَا اشْتَهَرُ

وبعد (أَنْ) تعويض ما عنها ارتكَبُ كمثل : أَمَا أَنْتَ بَرٌّ فَاقْتَرِبْ

٦- ظَنَّ وَأَخَوَاتُهَا :

يتجلى الاختصار هنا في "باب علمت أنك قائمٌ" ، وفي هذا الشأن يقول
السيوطي : "باب علمت أنك قائمٌ ؛ لأنه مُنْحَلٌّ لِاسْمٍ وَاحِدٍ سَدَّ مَسَدَ
المفعولين (١) ؛ أي : يقوم المصدر المؤول هنا مقام المفعولين معًا ويسدُّ مسدَّهما ، وفي
ذلك اختصار للكلام . ومن مظاهر الاختصار في هذا الباب حذف المفعولين ، وعن
ذلك يقول السيوطي : "وَأَمَّا حَذْفُ الْمَفْعُولَيْنِ اقْتِصَارًا فَلَا يَحْجُوزُ بِإِلَّا خِلَافٍ ؛ لِأَنَّ
أَصْلَهُمَا الْمَبْتَدَأَ وَالْخَبْرَ وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ فِيهِمَا ، وَإِنَّمَا اقْتِصَارًا فَيَحْجُوزُ نَقْلُهُ عَنِ
الْجُمْهُورِ ، وَمَنْعَهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ابْنُ الْحَاجِبِ وَصَحَّاحُهُ ابْنُ عَصْفُورٍ" (٢) .

الأشياء (٥١/١) .

مع الهوامع (٥٤٩/١ - ٥٥٠) (بتصرف)

فالحذفُ لدليلٍ يُسَمَّى اختصارًا ، ولغيرِ دَلِيلٍ يُسَمَّى اِقْتِصَارًا ، فَحَذَفُ المفعولين هنا لدليلٍ جائزٌ وفاقًا كقولهِ :

بأيِّ كتابٍ أم بآيَةٍ سُنَّةٍ تَرى جِبهَهُم عارًا عَلى وَتَحسِبُ
أي : وَتَحسِبُ جِبهَهُم عارًا .

٧- (إنَّ) وأخواتها :

وعن الاختصار في هذا الباب قال النحاة : " إِنَّمَا دخلت " إنَّ " على الكلام للتوكيد عوضًا من تكرير الجملة ، وفي ذلك اختصارٌ تامٌّ مع حصول الغرض من التوكيد ، فإن دخلت اللام في خيرها كان أكد ، وصارت " إنَّ واللام " عوضًا من ذكر الجملة ثلاث مرات ، وهكذا " أنَّ " المفتوحة إذ لولا إرادة التوكيد لقلت — مكان قولك بلغني أن زيدًا منطلق — بلغني انطلاق زيد (١) .

٨- نائب الفاعل : ومن الاختصار في النحو العربي "باب نائب الفاعل" ؛ لأنَّه دلَّ على الفاعل بإعطائه حكمه وعلى المفعول بوضعه (٢) . وعليه فإنَّ نائب الفاعل كلمة واحدة تقوم مقام الفاعل والمفعول معًا مما يؤدي إلى اختصار الكلام .

٩- التَّنَازُعُ : يُعْتَبَرُ باب التنازع من الاختصار ، فقول العرب : ضربني وضربت زيدًا ، أخصر من قولهم : ضربني زيدٌ ، وضربت زيدًا ، فأضمرُوا الفاعل في الفعل الأول قصدًا للاختصار والإيجاز (٣) .

١٠- الاستثناء : يُؤكِّد النحاة على : " أنَّ الاستثناء في الأصل دخل الكلام للاختصار أو للجهل بالعدد ؛ كقولك : قام القوم إلا زيدًا ، فاستثناء (زيد) كان للجهل بعدد مَنْ قام منهم أو للإطالة بتعديدهم " (٤) . وفي قولهم : "قام القوم إلا زيدًا ،

(١) ينظر : اللباب (٢٠٥/١) ، والأشباه (٥٢/١) .

(٢) الأشباه (٥١/١) .

(٣) الأشباه والنظائر (٥١/١) ، شرح قطر الندى (١٩٧/١) ، وغيرهما من كتب النحو .

(٤) ينظر : اللباب (٣٠٦/١) .

نابت (إلا) عن (أستثنى) وهي فعل وفاعل^(١) ، وفي ذلك من الاختصار ما لا خفاءَ فيه .

ولقد اختلف النحاة حول عامل النصب في المستثنى ، فيرى بعض الكوفيين ويوافقهم بعض البصريين أن عامل النصب في المستثنى هو (إلا) ، ولكن هذا الرأي ردٌّ بأن إعمال (إلا) النصب في المستثنى يجعل الكلام في تقدير جملتين ، فإذا قلت : حضر الطلاب إلا زيداً ، كان تقدير الكلام : حضر الطلاب استثنى زيداً ، متى أمكن أن يكون الكلام جملة واحدة كان أولى من جعله جملتين بغير فائدة^(٢) ؛ ولذلك يرى الرضوي أن "ما بعد (إلا) من حيث الحقيقة ، جملة مستأنفة ، لكن صيرت الجملتان في صورة جملة واحدة ؛ قصداً للاختصار"^(٣) .

١١- التَّمْيِيزُ: هو كل نكرة تضمن معنى (من) لبيان ما قبله من إجمال (إهمام)؛ سواء أكان إهمام ذات (مفرد) أم إهمام نسبة (جملة) . ومن خلال تعريف التمييز ووظيفته يتضح لنا الاختصار في هذا الباب .

ومن أنواع تمييز المفرد تمييز العدد فأقول العدد إن كان واحداً أو اثنين لم يحتاج إلى تمييز استغناء بالنص على المفرد والمثنى فيقال رجل ورجلان ؛ لأنه أخصر وأجود ، ولا يُقال وَاحِدٌ رجلاً ولا اثنا رجل^(٤) .

ومن أمثلة الاختصار في هذا الباب قولهم : عشرون درهماً ، "في عشرين درهماً عشرون من الدراهم ؛ فاستخفوا وأرادوا الاختصار"^(٥) ، و "حذفوا (من) ، والألف واللام (واقتصروا على واحد من الجنس لحصول الغرض به مع الاختصار"^(٦) .

(١) الخصائص (٢/٢٧٤) .

(٢) ينظر : الإنصاف (١/٢٦٤) .

(٣) شرح الكافية (١/١٦٥) .

(٤) المجمع (٢/٣٤٦) .

(٥) العدد في اللغة (١/٣٢) .

(٦) ينظر : الباب (١/٢٩٧) .

١٢ — العَطْفُ : تقوم حروف العطف في باب العطف مقام تكرار العامل وتغني غناءه ، ففي ظل وجود حرف العطف نستغني به عما هو أطول منه ، وفي ذلك اختصاراً ، فقولك : قام زيد وعمرو ، أصله : قام زيد ، وقام عمرو ، ولكن استغني عن تكرار العامل بحرف العطف ، اختصاراً (١)

ويقول السيوطي : "ومن الاختصار تركيب (أماً) العاطفة على قول سيبويه من (إن) الشرطية و (ما) النافية ؛ لأنها تغني عن إظهار الجمل الشرطية حذراً من الإطالة" (٢) ؛ ومن ذلك قولنا : أمّا زيدٌ فقاممٌ ، فـ (أماً) الشرطية جاءت عوضاً عن : حرف الشرط ، وفعل الشرط ، وفاعله .

١٣ — البَدَلُ : يرد البديل لبيان المبدل منه والتثبت من حقيقته ، كقولك : مررت بأخيك زيد ، فالمرور به الآن هو الأخ زيد نفسه ، وليس غيره ، وكان أصل الكلام الذي يرد فيه البديل أن يكون جملتين ، فالأصل في المثال السابق أن نقول : مررت بأخيك ، مررت بزيد ، وفي ذلك اختصار للكلام حيث إن لفظ البديل أغنى بذلك عن ذكر جملتين كاملتين معاً ، ويقول ابن السراج : " تقول : زيد ضربته أخاك ، فتبدل (أخاك) من (الهاء) ؛ لأن الكلام الأول قد تم ، وقد خبرتك أن البديل إنما هو اختصار خبرين " (٣) .

١٤ — النداءُ : في باب النداء نقول (يا فلان) اختصار قولنا (أنادي فلاناً أو أدعو فلاناً) . وعليه فالاختصار موجودٌ أيضاً في باب النداء ؛ لأن الحرف فيه نائب مناب أدعو وأنادي (٤) ، واستغنوا بقولهم (يا) عن الفعل (أدعو أو أنادي) ، "فتلك الأفعال النائية عنها هذه الحروف هي الناصبة في الأصل ، فلماً انصرفت عنها إلى

(١) شرح المفصل (٧٥/٣) .

(٢) الأشباه (٥٢/١) .

(٣) الأصول (٥٤/٢) .

(٤) ينظر : الكتاب (٢٩١/١) ، وشرح المفصل

الحروف طلباً للإيجاز، ورغبةً عن الإكثار ، أسقطت عمل تلك الأفعال ؛ ليتم لك ما أنتجه من الاختصار (١) .

ومن الاختصار في هذا الباب جواز حذف النداء اختصاراً (٢) ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٤) .

١٥ - الاستفهام :

إن أسماء الاستفهام قد وضعت في الأصل على الاختصار ، "فإن : كم مالِك ؟ يُعْنِي عن قولك : أهل عشرون أم ثلاثون ؟ وهكذا إلى ما لا ينتهي (٥) . وعن ذلك يقول ابن جني : " كم مالِك ؟ بدلاً من : " عشرة مالِك أم ثلاثون أم مائة أم ألف ؟ " ، فلو ذهبت تستوعب الأعداد لم تبلغ ذلك أبداً ، لأنه غير مثناه ، فلمَّا قلت (كم) أغنتك هذه اللفظة الواحدة عن تلك الإطالة غير المُحَاطِ بِآخِرها ، ولا المُسْتَدْرِكةِ " ، ومن ذلك (أَيْنَ) أغنتك عن ذكر الأماكن كُلِّهَا ، و (مَنْ) عندك ؟ (قد أَغْنَاكَ عَنْ ذِكْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، و (مَتَى) أغنتك عن ذكر الأزمنة على بعدها (٦) . وقيل أيضاً : إِنَّمَا عُدِلَ عن طلب التعيين بـ (أَي) إلى (الهمزة) و(أم) طلباً للاختصار ؛ لأنَّ قولك : أزيدُ عندك أم عمرو ؟ ، أخصرُ مِنْ قولك : أَيُّ الرَّجُلَيْنِ عندك زيدُ أم عمرو ؟ (٧) .

(١) الخصائص (٢/٢٢٦) .

(٢) الجمع (٢/٤٢) .

(٣) سورة يوسف ، من الآية (٢٩) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٨) .

(٥) الأشباه (١/٥١) .

(٦) الخصائص (١/٨٢) .

(٧) الأشباه (١/٥٦) .

ويقول ابن الأنباري في أسماء الاستفهام : " فَلِمَ أقاموا هذه الكلم مقام حرفٍ واحدٍ ، وهي همزة الاستفهام ، وَهُمْ يَتَوَخَّوْنَ الإيجازَ والاختصارَ في الكلام ؟ قيل : إنَّما فعلوا ذلك للمبالغة في طلب الإيجاز والاختصار "(١).

"والحكمة في وضعها الاختصار والعموم الذي لا يُستفاد بصريح العدد ، ألا ترى أنَّك إذا قلتَ : أ عشرَون رجلاً جاءك ؟ ، لم يلزمه أن يُجيبَكَ بِكَمِّيَّةٍ ، بل يقول : لا أو نعم ، وإذا قال : لا ، لم يحصل لك منه غرض السؤال مع الإطالة ، وإذا قلت : كم رجلاً جاءك ؟ استغيت عن لفظ الهمزة والعدد وألزمت الجواب بالكمية "(٢).

١٦- الشَّرْطُ :

يكمن الاختصار في هذا الباب في استخدام أدوات الشرط ، لقد وضعت أسماء الشرط في الأصل على الاختصار ؛ فهي تقوم مقام كلام يطول ، فبمثل هذه الأسماء يمكن اختصار ما يطول بدونها ، ويؤكد الرُّضِي على ذلك بقوله عن أسماء الشرط : " إنَّهم سلكوا طريق الاختصار بتضمين هذه الكلم العامة معنى (إن) ؛ إذ كان يطول عليهم الكلام لو قالوا في : "مَنْ ضربتَ ضربتُ" ، إنَّ ضربتَ زيداً ضربتُ ، وإنَّ ضربتَ بكرًا ضربتُ... إلى ما لا يتناهى ، وكذا (ما) ، و(متى) ، وسائر أخواتها "(٣).

ومن مظاهر الاختصار في هذا الباب تركيب " إمَّا " العاطفة على قول سيبويه من "إنَّ الشرطية و "ما" النافية ؛ لأنها تغني عن إظهار الجمل الشرطية حذرًا من الإطالة ، وتركيب "أمَّا" المفتوحة من "أنَّ" المصدرية و "ما" المزيدة عوضًا من "كان" في نحو : أمَّا أنتَ منطلقًا انطلقت ، وجعل "أمَّا" الشرطية عوضًا من حرف الشرط وفعل

(١) أسرار العربية لابن الأنباري (ص ٣٨٧) ، و الأصول لابن السراج (١٣٥/٢) ، وشرح المفصل (١٠٤/٤).

(٢) اللباب (٣١٥/١) .

(٣) شرح الكافية (٢٥٤/٢) .

الشرط وفاعله في نحو : أما زيدٌ فقاتمٌ^(١).

وينقل السيوطي قول ابن إياز في (شرح الفصول) : " إِنَّمَا ضَمَّنُوا بَعْضَ الْأَسْمَاءِ مَعَانِي الْحُرُوفِ طَلَبًا لِلْإِخْتِصَارِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ لَمْ تَأْتِ بِمَنْ وَأَرَدْتَ الشَّرْطَ عَلَى الْأَجْنَاسِ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَقِيَ بِالْمَعْنَى الَّذِي تَقِيَ بِهِ (مَنْ) ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : مَنْ يَقُمُ أَقُمَ مَعَهُ ؛ اسْتَغْرَقَتْ ذَوِي الْعِلْمِ ، وَلَوْ جِئْتَ بِإِنْ لَاحْتَجَّتْ أَنْ تَذَكَرَ الْأَسْمَاءَ : إِنْ يَقُمُ زَيْدٌ وَعَمْرُو وَبَكْرٌ ، وَتَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ تَسْتَغْرِقُ الْجِنْسَ " (٢) .

ويؤكد النحاة على الاختصار في هذا الباب بقولهم : " وكذلك الشرط في قولك : مَنْ قَامَ أَقُمَ مَعَهُ ، فَقَدْ كَفَاكَ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ جَمِيعِ النَّاسِ ، وَلَوْلَا هُوَ لَاحْتَجَّتْ أَنْ تَقُولَ : إِنْ يَقُمُ زَيْدٌ ، أَوْ عَمْرُو ، أَوْ جَعْفَرُ ، أَوْ قَاسِمُ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَقِفُ حَسِيرًا مَبْهُورًا ، وَلَمَّا تَجَدَّ إِلَى غَرَضِكَ سَبِيلًا " (٣) .

١٧- أسماء الأفعال :

أسماء الأفعال الغرض منها : الإيجاز والاختصار ، ووجه ذلك الاختصار فيها ، وقال صاحب البسيط : فائدة وضع أسماء الأفعال الاختصار والمبالغة ، أمّا الاختصار فَإِنَّهَا بِلَفْظٍ وَاحِدٍ مَعَ الْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ وَالْمُثَنَّى وَالْمَجْمُوعِ ؛ نَحْوُ : صِهْ يَا زَيْدٌ ، وَصِهْ يَا هِنْدٌ ، وَصِهْ يَا زَيْدَانَ ، وَصِهْ يَا زَيْدُونَ ، وَصِهْ يَا هِنْدَاتٍ ؛ وَلَوْ جِئْتَ بِمَسْمَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ لَقُلْتَ : اسْكُتْ وَاسْكُتِي وَاسْكُنَا وَاسْكُنُوا وَاسْكُنِي ، وَأَمَّا الْمُبَالَغَةُ فَتَعْلَمُ مِنْ لَفْظِهَا ؛ فَإِنَّ "هِيَهَاتَ" أَبْلَغُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْبُعْدِ مِنْ "بَعْدَ" وَكَذَلِكَ بَاقِيهَا ، وَلَوْلَا إِرَادَةُ الْإِخْتِصَارِ وَالْمُبَالَغَةِ لَكَانَتْ الْأَفْعَالُ الَّتِي هِيَ مَسْمَا تَغْنِي عَنْ وَضْعِهَا (٤) .

(١) ينظر : الكتاب (٢٩٣/١) ، والإنصاف (٥٨٢/٢) ، والأصول لابن السراج (٢٥٤/٢) ، والخصائص (٢/٣٨٠) ، ومغني اللبيب (٨٢٨/١) ، والأشباه (٥٢/١) ، والجمع (٥١٢/٣) .

(٢) ينظر : الأشباه (٥٣/١) .

(٣) الخصائص (٨٢/١) .

(٤) الأشباه (٥٤/١) ، وقد سبق الحديث عن الاختصار في أسماء الأفعال عند الحديث عن أقسام الكلمة ، وكذلك عند الحديث عن نتائج الاختصار فقرة " بالاختصار تتفوق العربية على غيرها من اللغات الأجنبية " .

ويؤكد ابن يعيش قائلاً : " فتركه إظهار علامة التانيث والتثنية والجمع ، مع أن في كل واحد من هذه الأسماء ضميراً للمأمور والمنهي بحكم مشابهة الفعل ونيابته عنه دليل على ما قلناه من قصد الإيجاز والاختصار " (١) .

١٨ - الممنوع من الصرف :

من العلل التي تمنع الاسم من الصرف العدل ؛ وهو : " وهو تحويل الاسم من حالة إلى حالة أخرى مع بقاء المعنى الأصلي ، وهو على ضربين : واقع في المعارف ، وواقع في الصفات . فالواقع في المعارف يأتي على وزنين : أحدهما (فعل) ؛ وذلك في المذكر وعدله عن فاعل ؛ كعَمَرُ وزُفِرُ وزُحِلَ وَجَمَعَ . والثاني (فعل) ؛ وذلك في المؤنث وعدله عن فاعله ؛ نحو حَذام وقطام ورقاش و في لغة تميم خاصة " (٢) .

وبعد العدل مظهرًا من مظاهر الاختصار في اللغة العربية ، وعن ذلك يقول ابن النحاس : " فإن قيل : فما فائدة العدل ؟ فالجواب أن (عمر) أخصر من (عامر) " (٣) . وفيه ذهب بعضهم إلى أن باب مثنى وثلاث ورباع معدول عن عددٍ مُكرَّرٍ طلبًا للمبالغة والاختصار (٤) .

١٩ - العدْدُ : العدد من الأبواب التي وضعت للاختصار ؛ فإن لفظ العدد يقوم مقام كلامٍ طويلٍ ، فلفظ (عشرة) ، و (مائة) ، و (ألف) ، يقوم مقام قولك : درهم ، ودرهم ، ودرهم ، إلى أن تأتي بجمله ما عندك مُكرَّرًا هكذا ، حتى تأتي على نهاية العدد المراد ، وفي ذلك اختصارٌ (٥) .

(١) شرح المفصل (٢٥/٤) . ينظر : الإنصاف (١٤٤/١) ، والخصائص (٤٧/٣) ، وشرح الكافية (٦٨/٢) ، والأمالى الشجرية (٣٩١/٢) .

(٢) ينظر : شرح قطر الندى ، (ص ٣١٤) ، اللمع (١٥٥/١) ، (أسرار العربية ٢٧٦/١) ، (وأوضح المسالك ٤/١٢٢) .

(٣) الأشباه (٥٥/١) ، و شرح التصريح (٢١٤/٢) .

(٤) الأشباه (٥٥/١ - ٥٦) .

(٥) ينظر : الاختصار في الدراسات النحوية (ص ٢٥) .

وَلَمَّا وُضِعَ العددُ للاختصارَ قالوا : ثلاث مائة درهم ، ولم يقولوا ثلاث مئاة كما هو القياس في تمييز الثلاثة إلى العشرة أن يكون جمعًا كثلاثة دراهم ؛ لأنَّهُمْ أرادوا الاختصارَ تخفيفًا لاستطالة الكلام باجتماع ثلاثة أشياء : العدد الأول والثاني والمعدود ، فحَفَفُوا بالتوكيد مع أمن اللبس . ويرى السخاوي في شرحه لقولهم : ثلاثة آلاف درهم ، فلم يخففوا بالتوحيد مع اجتماع ثلاثة أشياء ، وقال : الصَّواب في التوحيد أن المائة لما كانت مُؤَنَّثَةً استغني فيها بلفظ الأفراد عن الجمع لِثِقَلِ التأنيث بخلاف الألف ، وقيل : لَمَّا جمعوا في الألف دون المائة ؛ لأنَّ الألف آخر مراتب العدد فحملوا الآخر على الأول كما قالوا : ثلاثة رجال (١) .

ومن مظاهر الاختصار في هذا الباب أيضًا أن العدد لا يُسْتثنى منه ؛ لأنَّ قولك عندي تسعون أخصر من قولك : عندي مائة إلا عشرة ، فالاستثناء من العدد يطيل الكلام ، وهو ضد أصل وضع العدد وهو اختصار الكلام ، ويؤكد السيوطي على ذلك قائلاً : "ومما بني علي الاختصار منع الاستثناء من العدد ؛ لأن قولك : عندي تسعون ، أخصر من قولك : مائة إلا عشرة (٢) .

ولا شُبْهَةٌ أن قولنا : (أربعة) أخصر من قولنا : (عشرة إلا ستة) ، فإن قلتَ : (فعشرة إلا أربعة) جائز معنيٌّ مع أن (ستة) أخصر قيل جاز للمعنى (٣) .

ومن الحذف المراد به الاختصار ما رُكِّبَ من الأعداد من (أحدَ عشرَ) إلى (تسعةَ عشرَ) عدا (اثني عشرَ) ، فهذا التركيب مُضْمَنٌ (واو) العطف ، فأصل : أحدَ عشرَ ، أحدَ وعشرَ ، ثُمَّ حُذِفَت (الواو) وجُعِلَ الاسمان اسمًا واحدًا ؛ اختصارًا للكلام ، "وإنما بُني من (أحدَ عشرَ) إلى (تسعةَ عشرَ) غير (اثني عشرَ) ؛ لِتَضَمُّنِهِ معنى (واو) العطف ، والأصل (ثلاثةَ وعشرة) فَرُكِّبَ اختصارًا ، ومعنى العطف باق في الاسم

(١) الأشباه (٥٣/١) .

(٢) الأشباه (٥٣/١) .

(٣) ينظر : اللباب (٣٠٦/١) .

يُنْبَنَى لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْحَرْفِ " (١) .

— كُنَايَاتُ الْعَدَدِ :

(كَذَا) و(كَمْ) كناية عن العدد المبهم ، وهي تقوم مقام كلام يطول لو لم تذكر في هذا اختصار (٢) .

ويمكن القول نفسه عن باقي الكنايات النحوية نحو قولنا : (كيت وكيت) كناية عن الحديث المبهم ، و (فلان) أو (فلانة) و (هن) كناية عن الأعلام والأجناس .
 "وإذا قلت : كم رجلاً جاءك ؟ استغنيت عن لفظ الهمزة والعدد وألزمت الجواب بالكمية " (٣) ، وتقول في الجواب : عشرة أو خمسة .. الخ .

(١) ينظر : شرح المفصل (٢٥/٦) ، واللباب (٣٢١/١)

(٢) ينظر : شرح المفصل (١٢٥/٤) .

(٣) اللباب (٣١٥/١) ،

ثانيًا : الأبوابُ الصَّرْفِيَّةُ

من المعروف أن علم الصرف هو العلم الذي يدرس بنية الكلمة العربية ، وتدور أبوابه حول موضوع بنية الاسم والفعل ، ومما ذكرته موافقاً فيه العلماء أن بنية الاسم أو الفعل في اللغة العربية موضوعة في الأصل على الاختصار — وقد مرَّ بنا ذلك — ولذلك إذا أردنا أن نتبع شواهد الاختصار ومظاهره في أبواب الصرف العربي فقد نأتي على معظم أبوابه ، ولكننا سنسوق بعض الشواهد في بعض الأبواب دفْعاً للملل والتكرار والإطناب والإسهاب — وهذا يتنافى مع ما نصبو إليه من الاختصار والإيجاز — وذلك لمعرفة أن الأمر واضحٌ وجليّ ، وذلك على النحو التالي :

١ — باب الميزان الصرفي : هو الميزان الذي وضعه الصرفيون العرب لوزن الكلمات العربية ، وهو على وزن (فَعَلَ) للثلاثي ، (فَعَّلَل) للرباعي ، وما يحدث للكلمة يحدث في الميزان ؛ كالزيادة أو النقصان ، أو القلب أو الإدغام ، .. الخ . فمثلاً (ضَرَبَ) على وزن (فَعَلَ) ، و (اسْتَخْرَجَ) على وزن (اسْتَفْعَلَ) ، و (زَنَ) على وزن (عَلَ) ، و (تَدَحْرَجَ) على وزن (تَفَعَّلَ) ، .. الخ .

وينقل السيوطي عن أبي حيان قوله : " فَإِنْ قُلْتَ : ما فائدة وزن الكلمة بالفعل ؟ قلتُ : فائدته التَّوَصُّلُ إلى معرفة الرَّائِدِ مِنَ الْأَصْلِيِّ على سبيل الاختصار ؛ فَإِنْ قولك وزن استخراج (استفعال) أَخْصَرُ مِنْ أَنْ تقول الألف والسين والتاء والألف في (استخراج) زوائد " (١)

٢ — الفعل بين التَّعَدِّيِّ وَاللُّزُومِ :

ينقسم الفعل في اللغة العربية إلى قسمين : فعل لازم ، وفعل متعدي ، ومن مظاهر الاختصار في هذا الباب (الأفعال اللازمة) نحو قولنا : مات الرجل ، .. الخ .

ويقول ابن السراج في الأصول : "من الأفعالِ ضَرَبَ مُسْتَعَارَةً للاختصارِ ، وفيها أنْ بيان فاعليها في الحقيقة مفعولون ؛ نحو : مات زيدٌ ، ومرض بكرٌ ، وسقط الحائطُ ، فالفعلُ هنا له فاعل في اللفظ ، وهذا الفعلُ نفسه مفعولٌ من حيث المعنى والحقيقة ، وبذلك يُعبرُ الفعلُ من هذه الأفعالِ عن شيئين معًا بلفظٍ واحدٍ ، وفي هذا اختصارٌ (١) ."

ومن الاختصارِ أيضًا في هذا الباب طرح المفعول اختصارًا على جعل المتعدي كاللازم (٢) .

٣- الفعل بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول :

يعدُّ بناء الفعل للمجهول من مظاهر الاختصار في اللغة العربية ، فعند بناء الفعل للمجهول يكفي في العربية أن تُغيّر حركة بعض حروفه فتقول : (كُتِبَ) على حين نقول بالفرنسية (il a été écrit) وفي الإنكليزية (it was written) . ويُقال هذا الكلام عنه الاختصار مع الفعل المضارع أيضًا ولا داعي للإطالة .

٤- باب المصدر واسم المصدر واسم الزمان واسم المكان :

يحمل المصدر في صياغته مظهرًا من مظاهر الاختصار (٣) ، وكذلك هذه المصادرُ التي عَمِلَتْ فيها أفعالها إنما يُسألُ عن هذا المعنى ولكنه يَتَسَعُّ وَيَخْرُلُ الذي يقع به الفعلُ اختصارًا واتساعًا (٤) .

والمصدر يُذكر لأحد أربعة أشياء ، أحدها توكيد الفعل كقولك : ضربتُ ضَرْبًا . فضربًا نائِبٌ عن قولك : ضربتُ مرةً أخرى ؛ لأنَّ التوكيد يكون بتكرير اللفظِ ،

(١) الأصول لابن السراج (٦٧/١) ، والأشباه (٥٢/١) .

(٢) الأشباه (٥١/١) .

(٣) ينظر : اللباب (٢٦١/١) .

(٤) ينظر : الكتاب لسيبويه (٢٣٠/١) .

وإنّما عدلوا إلى المصدر كراهية إعادة اللفظ بعينه ؛ ولأنّ الفعل الثاني جملة ؛ والمصدر ليس بجملة ، فكان أخصراً وأبعد من التكرير .^(١)

ويرى السيوطي وغيره أنّ (أسماء المصدر والزمان والمكان) اشتقت طلباً للاختصار ؛ وذلك لأنّه لما كان الفعل يدلّ على المصدر بلفظه وعلى الزمان بصيغته وعلى المكان بمعناه اشتقّ منه اسم للمصدر ولمكان الفعل ولزمانه ؛ طلباً للاختصار والإيجاز ، لأنّهم لو لم يشتقوا منه أسماءها للزم الإتيان بالفعل ولفظ الزمان والمكان .^(٢)

٥- صِيغُ الْمُبَالَغَةِ : تحمل صيغ المبالغة سواء القياسية أم السماعية دلائل الاختصار ، فإنّها تدلّ على تكرار الفعل وكثرة حدوثه من دون تكرار الفعل ، نحو قولنا : قتال ، مهذار ، جهول .. الخ . وعليه فإنّ بين أوزان الألفاظ في العربية ودلالاتها تناسباً وتوافقاً ، فصيغة (فعال) لمبالغة اسم الفاعل تدلّ بما فيها من تشديد الحرف الثاني على الشدّة أو الكثرة ، وبألف المذّ التي فيها على الامتداد والفاعلية الخارجية .

٦- أسماء الزمان والمكان :

المهدف من صياغة أسماء الزمان والمكان والإيجاز والاختصار ؛ لأنّها تدلّ على مكان الفعل وزمانه ، يقول ابن يعيش : " الغرض من الإتيان بهذه الأبنية — يقصد أسماء الزمان والمكان — ضربٌ من الإيجاز والاختصار ؛ وذلك أنّك تُفيد منها مكان الفعل وزمانه ، ولولاها لزمك أن تأتي بالفعل ولفظ المكان والزمان ، فاشتقوا المكان والزمان من الثلاثي ، ولا يكاد يكون من الرباعي ، وذلك يجيء على مثال الفعل المضارع على (يفعل) ، إلا أنّك تُوقّع الميم موقع حرف المضارعة للفصل بين الاسم والفعل ؛ نحو : الملبس والمشرب والمذهب ، ... " .^(٣)

(١) الأشباه (١/٥٥) .

(٢) ينظر : الباب ٢٦١/١ .

(٣) ينظر : شرح المفصل (٦/١٠٧) .

٧- (أَفْعُلُ) التَّفْضِيلُ :

من مظاهر الاختصار في هذا الباب اكتفاء العرب بصيغة واحدة لاسم التفضيل ، هي (أَفْعُلُ) دون غيرها ؛ طلباً لاختصار الكلام (١) ، و(أَفْعُلُ) اسم مُرَكَّبٌ يَدُلُّ على فعل وغيره ، فَلَمْ يَجْزُ تشيته ولا جمعه كما لم يجز تشيته الفعل ولا جمعه ؛ لَمَّا كان مُرَكَّباً يَدُلُّ على معنى وزمان ؛ وإِنَّمَا فعلت العرب ذلك اختصاراً للكلام واستغناءً بقليلِ الكلامِ عَنْ كَثِيرِهِ (٢) .

وقد علل النحاة إفراد (أَفْعُلُ التفضيل) وذكروا في ذلك عدة أوجه منها :

الوجه الأول : أَنَّهُ لَمْ يُثَنَّ ولم يُجْمَعْ ولم يُؤنثْ ؛ لِأَنَّهُ تَضَمَّنَ معنى المصدر ، لِأَنَّكَ إِذَا قلت : زَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْكَ ؛ كان معناه : فَضْلُ زَيْدٍ يَزِيدُ عَلَى فَضْلِكَ ، فَجُعِلَ موضع يزيد فضله (أَفْضَلُ) فتضمن معنى المصدر والفعل معاً ، والفعل والمصدر مُذَكَّرَانِ ولا تدخلهما تشنية ولا جمع فكذلك ما تَضَمَّنَهُمَا .

والوجه الثاني : أَنَّهُ لَمْ يثن ولم يجمع ولم يؤنث ؛ لِأَنَّهُ مضارع للبعض الذي يقع به التذكير والتأنيث والتشنية والجمع بلفظ واحد .

والوجه الثالث : إِنَّمَا لَمْ يُثَنَّ وَلَمْ يُجْمَعْ ؛ لِأَنَّ التَّشْنِيَةَ وَالْجَمْعَ إِنَّمَا تَلْحَقُ الْأَسْمَاءَ الَّتِي تَنْفَرِدُ بِالْمَعَانِي ؛ وَ(أَفْعُلُ) اسم مركب يَدُلُّ عَلَى فعل وغيره فلم يجز تشيته ولا جمعه ، كما لم يجز تشيته الفعل ولا جمعه لَمَّا كان مُرَكَّباً يَدُلُّ على معنى وزمان ، وإِنَّمَا فَعَلْتُ العرب ذلك اختصاراً للكلام ، واستغناءً بقليلِ الكلامِ عَنْ كَثِيرِهِ ، ولم يجز تأنيثه لَمَّا ذكرنا من تَضَمَّنِهِ معنى الْمَصْدَرِ (٣) .

٨- اسْمُ الْآلَةِ : تقوم الآلة مقام المصدر كقولك : ضربته سوطاً ، فسوط هنا اسم للضربة بالسوط ؛ وإِنَّمَا جاز ذلك لِمَا بَيَّنَّ الْفِعْلُ وَالْآلَةُ مِنَ الْمَلَابَسَةِ ،

(١) ينظر : المرهم للسيوطي (٢٨٥/١) ، وشرح الكافية (٢١٣/٢) .

(٢) ينظر : الأصول لابن السراج (٧/٢) ، والإنصاف في مسائل الخلاف (٤٩٢/٢) .

(٣) ينظر : الإنصاف ٤٩٢/٢ .

وحصل من هذا شيان الاختصار والتنبيه على أن الفعل كان بالآلة المخصوصة ، ولولا ذلك لقلت : ضربته ضربة بسوط " (١).

٩ — المذكر والمؤنث : يُمكن أن نلحظ الاختصار في هذا الباب الصرفي فيما يسمى بـ (علامة التأنيث) فهي وسيلة من وسائل اختصار الكلمة ، إذ : "الأصل أن يُوضَعَ لكل مؤنث لفظٌ غير لفظ المذكر كما قالوا : غير وأتان وحدي وعناق وجمل ورجل وحصان وحجر إلى غير ذلك ، لكنهم خافوا أن يكثُر عليهم الألفاظ و يطول عليهم الأمر ، فاختصروا ذلك بأن أتوا بعلامة فرّقوا بها بين المذكر والمؤنث ، تارة في الصفة : كضارب وضاربة ، وتارة في الاسم : كامري ، وامرأة ، ومرء ، ومراة في الحقيقي ، وبلد وبلدة في غير الحقيقي (٢) " .

١٠ — الاسم المنقوص والمقصور والمددود :

يظهر الاختصار في هذا الباب في قصر المددود ويكون ذلك في الضرورة الشعرية ، وعن ذلك يقول ابن جني : "وكما زِيدَتْ الألف إشباعاً فقد حُذِفَتْ اختصاراً ؛ ومن ذلك قصر المددود نحو قوله : "وتبوا بمكة بطحاهها "

أي : بطحاءها (٣) ، ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

لا بد من صنعا وإن طال السفرُ وإن تحتي كلُّ عودٍ ودبرُ

١١ — جمع التكرير : هو كلُّ اسمٍ دلَّ على أكثر من اثنين ، بتغير ظاهر كـ "رجل" ؛ نقول : رجال ، أو تغير مقدار كقولنا : (فُلُك) للمفرد والجمع ؛ فالضمة في المفرد كضمة (قُقل) ، والضمة التي في الجمع كضمة (أُسَد) ، وهو باب واسع كبير ، وينقسم إلى قسمين : جمع قلة ، وجمع كثرة ، وعن ذلك يقول ابن يعيش :

(١) اللباب (١/٢٦٣) .

(٢) الأشباه (١/٥٤) .

(٣) سر صناعة الإعراب (٢/٧٢٠) .

"وأقيس ذلك أن يُستغنى بجمع الكثرة عن القلة ؛ لأنَّ القليلَ داخلٌ في الكثير" (١).
وفي ذلك اختصارٌ وخِفَّةٌ .

و في هذا الجمع نستغنى به عن العطف ، فبدلاً من قولنا : " رجل ، ورجل ، ورجل ، ورجل ، و.." نستغنى عن ذلك بقولنا : "رجال" ، فذلك أخفُّ وأخصَرُ وأَوْجَزُ .

١٢ — التَّصْغِيرُ : يذكر العلماء أنَّ الغرض من التَّصْغِيرِ هو : "وصف الشيء بالصَّغَرِ على جِهَةِ الاختصارِ" (٢).

والتصغير أيضاً مظهر من مظاهر اختصار الكلام عن طريق الحذف ، فحقيقة الاسم المُصَغَّرِ الدلالة على مُسَمَّى موصوف بصفة من الصفات ثُمَّ حُذِفَتْ هذه الصفة ، وبقي التَّغْيِيرُ الحادث في الاسم المُصَغَّرِ دالاً على أنَّ أصلَ التصغير الصفةُ ، ثم حذفت الصفة اختصاراً للكلام ، وعن ذلك يقول ابن يعيش : " وتصغيرُ الاسم دليلٌ على صِغَرِ مُسَمَّى ، فهو حليةٌ وصفةٌ للاسم ؛ لأنك تريد بقولك (رجيل) رجلاً صغيراً ، وإنَّما اختصرت بحذف الصفة ، وجعلت تصغير الاسم والزيادة عليه علامةً على ذلك المعنى" (٣).

وقال الشيخ جمال الدين بن هشام في تذكرته : باب التصغير معدول به عن الوصف ، وقال : " إِنَّهُمْ استغنوا بياء وتغيير كلمة عن وصف المسمى بالصغر بعد ذكر اسمه ، ألا ترى أنَّ ما لا يُوصف لا يجوز تصغيره ، فدلَّ ذلك على أنَّ التصغير معدولٌ به عن الوصف ، وقال ابن القواس في (شرح ألفية ابن معطى) : " التصغير وصف (في) لمعنى ، وفائدته الاختصار، فإذا قلت : (رَجُلٌ) احتمل التكبير والتصغير، فإنَّ أردت تخصيصه قلتُ : رَجُلٌ صَغِيرٌ ، فإنَّ أردته مع الاختصار قلتُ : رَجُلٌ (٤) .

(١) شرح المفصل (١١/٥) ، وينظر : الكتاب (٣/٥٩٩) ، والخصائص (١/١٣٧) ، والأشباه (١/١١٤) .

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي (١/٥٣ ، ٥٥ ، ٧١) .

(٣) شرح المفصل (٥/١١٢) .

(٤) الأشباه (١/٥٥) .

١٣ — التَّنَسُّبُ : النسب مظهر من مظاهر الاختصار في اللغة العربية ، فعندما نقول : مصريّ ، شاميّ ، إسلاميّ ، .. الخ .

فما سبق أخصر من قولنا : ينتسب إلى مصر ، منسوبٌ إلى الشام ، ينتسب إلى الإسلام ، .. الخ . ومن مظاهر الاختصار في هذا الباب أيضًا : "حذف ألف التانيث إذا كانت رابعة لطول الكلمة" (١) .

١٤ — الإِذْغَامُ : وهو : ادخَالُ حَرْفٍ فِي حَرْفٍ آخَرَ مِنْ جِنْسِهِ ، بحيث يُكَوِّنَانِ حَرْفًا وَاحِدًا مُشَدَّدًا ؛ مثل (شَدَّ ، مَدَّ ، وَهَدَّ ، وَعَدَّ ، .. الخ) ، أي : شدد ، مدد ، هدد ، عدد ، .. الخ .

وللإدغام في اللغة فائدة كبيرة واضحة وهي التخفيف والاختصار ؛ وذلك لأنَّ السُّنْطَاقَ بالحرفين المثلين (المتشابهين) ثقيلٌ ، ولأنَّ التَّكَلَّمَ يحتاج إلى استخدام العضو الذي يخرج منه الحرف المُضَاعَفُ مرتين فيكثر العمل على العضو الواحد ، ولذلك حاولوا تخفيفه بأن يضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المُكْرَّرِ وَضْعَةً وَاحِدَةً ؛ ويرفعوها بالحرفين المثلين رَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ لِئَلَّا يَنْطَقُوا الحرف ثم يعودوا إليه ، وينقسم الإدغام في اللغة العربية إلى قسمين :

أ — الإدغام الواجب : ويكون في كلمة واحدة أو كلمتين ، ففي كلمة واحدة نحو : (شَدَّ ، مَدَّ ، اذَّعَى ، اتَّقَدَّ ، .. الخ) ، وفي كلمتين نحو : (عُنِّي ، عَنَّا ، عَمَّا ، .. الخ) (٢) .

ب — الإدغام الجائز : ويكون في كلمة واحدة أو كلمتين أيضًا ، ففي كلمة واحدة نحو (لم يحل — لم يحلل ، يرتد — يرتدد ، .. الخ) ، والإدغام الجائز يكون تبعًا المتكلم ، ومن ذلك ما يأتي :

(١) الأشباه (٥٢/١) .

(٢) ينظر : الشافية ١/١٤٣ .

— والفك لغة أهل الحجاز : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ (١) ، ومن ذلك قوله ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (٢) ، فقد ورد الفك والإدغام في (يحل ، يحلل) .

— والإدغام لغة أهل قمم : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

(٢) سورة طه ، الآية (٨١) .

(٣) سورة الحشر ، من الآية (٤) .

(٤) سورة المائدة ، من الآية (٥٤) .

ثالثاً : الأبوابُ اللُّغَوِيَّةُ الْمُشْتَرَكَةُ

يلحق بما سبق بعض المسائل اللغوية التي تشترك دراستها بين علوم النحو والصرف والبلاغة وغيرها من العلوم اللغوية ، وذلك على النحو التالي :

١- حُرُوفُ الْمَعَانِي :

حروفُ المعاني كثيرةٌ في اللغة العربية ومشهورةٌ ، وقد أفردت المؤلفات لدراستها (١) ، وما يهمنا هنا هو محاور دراستنا الاختصار ، ومن الاختصار "حروف المعاني ؛ لأنها نائبة عن غيرها من الأفعال (٢) .

وعن الحروف (الجر أو العطف ، ... الخ) يقول عنها السيوطي "الحروف دخلت الكلام لضربٍ من الاختصار" (٣) ، ويقول السيوطي : "من الاختصار باب العطف ، لأن حروفه وضعت للإغناء عن إعادة العامل (٤) "

ويؤكدُ العلماء مراراً أن الحروف لا يليق بها الزيادة ولا الحذف ، وأن أعدل أحوالها أن تُسْتَعْمَلَ غير مزيّدة ولا محذوفة ، فأَمَّا وَجْهُ الْقِيَاسِ فِي امْتِنَاعِ حَذْفِهَا فَمِنْ قَبْلِ أَنْ الغرض في الحروف إِيْمًا هو الاختصار ألا ترى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : ما قام زيد ، فقد نابت (ما) عن (أنفي) — وهي جملة فعل وفاعل — وإذا قلت : هل قام زيد ؟ فقد نابت (هل) عن (أستفهم) فوقع الحرف مقام الفعل وفاعله غاية الاختصار ، وإذا قلت : قام القوم إلا زيداً ، فقد نابت (إلا) عن (استثني) — وهي فعل وفاعل — وإذا قلت : قام زيد وعمرو ، فقد نابت (الواو) عن (أعطف) ، وإذا قلت : ليت لي

(١) ومن ذلك : حروف المعاني للرماني ، والأزهية للهروي ، والجنى الداني للمراي ، وغيرهم الكثير من الكتب .

(٢) الأشباه (٥٢/١) .

(٣) الأشباه والنظائر (٧٥/١) .

(٤) الأشباه (٥١/١) .

مالاً ، فقد نابت (ليت) عن (أتمنى) ، فلو ذهبت تحذف الحرف تخفيفاً لأفرطت في الإيجاز ؛ لأنَّ اختصار المختصر إجحافٌ به ، فهذا وجهٌ ، وأمَّا وجهٌ ضعف زيادتها فمن قبل أن الغرض في الحروف الاختصار كما قدمنا فلو ذهبت تزيدها لنقضت الغرض (١)

ويؤكد النحاة على أن : " الحروف إنما جيء بها لضرب من الإيجاز والاختصار ، وهو النيابة عن الأفعال ؛ لتفيد فائدتها ، مع إيجاز اللفظ ، ألا ترى أن همزة الاستفهام نائبة عن (استفهم) ، و (واو) العطف نائبة عن (عطف) ... وكذلك سائر الحروف " (٢)

٢- المشترك النحوي :

المشترك النحوي عبارة عن الكلمات التي تحمل أكثر من معنى وتؤدي أكثر من وظيفة ، رغم أن لفظها واحد ؛ مثل (من) التي تستعمل في اللغة العربية استفهامية ، شرطية ، واسم موصول ، وغير ذلك ، ومثلها (ما) التي تحمل أيضاً المعاني السابقة ، ومنه (لا) التي تستعمل في اللغة حرف نفى ، ونهي ، وحرف جواب ، وعاطفة ، وزائدة ، إلى غير ذلك ، فمثل هذه الكلمات التي لها أكثر من وظيفة في اللغة وتحمل مع كل وظيفة معنى يختلف عن الوظيفة الأخرى ، وفي ذلك اختصارٌ للكلام ، فاللفظ الواحد هنا يقوم مقام العديد من الألفاظ ، والمعاني ، والاستخدامات (٣) .

ومن ذلك إقامة المصادر مقام الظروف ، فالكلمة الواحدة هنا يمكن أن تستخدم مصدرًا ، كما يمكن أن تقوم مقام الظروف ، فتستخدم ظرفًا وفي ذلك اختصارٌ ، ويقول ابن السراج : "واعلم أن العرب قد أقامت أسماء ليست بأزمنة مقام الأزمنة ؛

(١) ينظر : الخصائص (٢٧٣/٢-٢٧٤) (١٠٨/٣) ، و سر صناعة الإعراب (٢٦٩/١) ، (٦٣٥/٢) .

(٢) ينظر : شرح الفصل (١٢٧/١) ، (١٥/٢) ، (٨٤/٣) ، (٩٢/٣) ، (٩٤/٤) ، الإنصاف (٢٦٣/١) ، والأمال الشجرية (٢٣/٢) .

(٣) الاختصار في الدراسات النحوية (ص ٢٤) .

اتساعاً واختصاراً " ، ومن ذلك قول العرب : خفوق النجم ، صلاة العصر ، حيث استخدم المصدر (خفوق) ، والمصدر (صلاة) استخدام الظروف، وفي ذلك اختصارٌ.

٣- إقامة المفرد موضع الجمع والنكرة موضع المعرفة:

وذلك لأجل اختصار الكلام ، فقول العرب في أفعال التفضيل : هذا أول رجل ، بإضافة (أول) إلى (رجل) ، وأصل الكلام : أو الرجال ، وإنما وضعوا (رجلا) المفرد النكرة مقام (الرجال) الجمع المعرفة : طلباً للاختصار الكلام ، قال سيبويه : " فإن أضفت فقلت : هذا أول رجل . اجتمع فيه لزوم النكرة ، وأن يلفظ بواحد وهو يريد الجمع ، وذلك لأنه أراد أن يقول : أول الرجال ، فحذف استخفافاً واختصاراً ومثل ذلك ترك الألف واللام وبناء الجميع قولهم : عشرون درهم ، وإنما أرادوا عشرين من الدراهم ، فاختصروا واستخفوا" (١) . ونقل السيوطي في الأشباه عن أبي الحسين بن الربيع في (شرح الإيضاح) قوله : " قولهم : لله درك من رجل ، (من) فيه للتبعيض عند بعضهم ، والتقدير : لقد عظمت من الرجال ، فوضع المفرد موضع الجمع ، والنكرة موضع المعرفة للعلم طلباً للاختصار ، قال : ونظير هذا قولك : كل رجل يفعل هذا ، الأصل : كل الرجال يفعل هذا ، فاستخفوا فوضعوا المفرد موضع الجمع والنكرة موضع المعرفة لفهم المعنى وطلباً للاختصار (٢) " .

وقد وردت هذه الظاهرة كثيراً في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ (٣) . ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ (٤) ؛ أي : أطفالاً ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لِيَتَسَوَّأَ عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ (٥) حيث يقول الفراء : " يقول

(١) الكتاب (٢٠٣/١) . وشرح المفصل (٥/٣) ، والأشباه والنظائر (٥٢/١) .

(٢) الأشباه (٥٢/١) .

(٣) سورة الشورى ، الآية (٤٨) .

(٤) سورة غافر ، من الآية (٦٧) .

(٥) سورة الزخرف ، من الآية (١٣) .

القائل : كيف قال (على ظهوره) فأضاف الظهور إلى واحد ؟ يقال : إن ذلك الواحد في معنى جميع بمثالة الجند والجيش والجمع^(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا^(٢) . فقد جاء قوله تعالى (العبد) بمعنى (العبيد) أو (العباد) ، فسياق الآية يدل على أن اللفظ يقتضي أن يكون للجمع لا للمفرد ، وخاصة أن الآيات تُصَوِّرُ مَشْهَدًا من مشاهد يوم القيامة حين تُعرض الخلائق على الله ﷻ في ساحة القيامة ؛ فَهُمْ إِذْ كَثِيرٌ . فلماذا أثر سبحانه وتعالى أن يُعَبِّرَ عن هذا الجمع بلفظ (عبدًا) المفرد ؟؟

وقد حاول الأستاذ : علي النجدي ناصف — رحمه الله — أن يُبين ذلك ويكشف الدلالة في التعبير بلفظ المفرد (عبدًا) بدلا من الجمع فيذكر أن " لفظ العبد في الآيات يُومئُ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ إلى مشهدٍ مَهِيبٍ من مشاهد الآخرة ، مشهد لا كالمشاهد ولا الناس فيه كالناس ، فالملك يومئذ الله الواحد القهار ، وكل من في السماوات والأرض خاشع مقهور ، والناس بين يدي الله أشباه متساوون حتى كأنَّهُمْ وَاحِدٌ مُتَكَرِّرٌ ذَاتُهُ وَتَوَحَّدُ مَلَامَحُهُ " .

ويستكمل كلامه قائلا : "نَعَمْ . فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ وَاحِدٌ فِي الْإِتِّحَاهِ إِلَى اللَّهِ ، وَالْخَوْفِ وَالرُّعْبِ وَخَشَوْعِ الْأَبْصَارِ وَذُھُولِهَا ، (فتشابهت الملامحُ والسَّمَاتُ ، وتوافقت المشاعر والخلجات حتى لَيَتَمَثَّلَ الجمعُ في هيئة الفرد ، ويرتدئ البعيد في القريب ، وما كان ذلك كله ليكون لولا وضع (العبد) بلفظه المفرد مكان (العباد أو العبيد) أو غيرهما من جموع " (٣) .

(١) معاني القرآن للقرطبي (٢٨/٣) .

(٢) سورة مريم ، الآيتان (٩٣-٩٥) .

(٣) ينظر : مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة ، للأستاذ علي النجدي (ص ١١٨، ١١٧، ١١٦) (بتصرف) ،
والتوهم عند النجاة للمؤلف (ص ٢١٦)

٤- النحت :

هو: " أن تُؤخذ كلمتان ، وتُنحت منهما كلمة تكون آخذةً منهما جميعاً بحظٍّ ، والأصلُ في ذلك ما ذكره الخليلُ من قولهم : حَيَّلَ الرجلُ إذا قال : حيَّ على (١) ؛ هذا ما وضعه ابنُ فارس من تعريفٍ لهذه الظاهرة اللغوية في العربية ؛ وقد كرَّره في كتابه (فقه اللغة) على ما نقل السيوطي من قوله: "العربُ تُنحت من كلمتين كلمةً واحدة ، وهو جنسٌ من الاختصار، وذلك نحو: رجلٌ عَشَمِي، منسوبٌ إلى عَشَمٍ.. وهذا مذهبنا في أنَّ الأشياءَ الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوتٌ، مثل قول العربِ للرجلِ الشَّدِيدِ (ضَبْطٌ) من ضَبَّطَ وضَبَّرَ " . (٢) .

أمَّا المحدثون فقد زادوا التعريفَ السابق بعضَ التأصيل والتفصيل . يقول عبد الله أمين في تعريفه- بعد أن يُسميه الاشتقاق الكُبار: "النحتُ في اللغة القشْر والبرِّيُّ والترقيقُ والتسويةُ ، ولا يكون إلا في الأجسام الصُّلبة كالخشبِ والحجرِ ونحوهما .

والنحتُ في اصطلاح أهلِ اللغة : أخذُ كلمةٍ من كلمتين أو أكثر مع المناسبةِ بين المأخوذِ والمأخوذِ منه في اللَّفْظِ والمعنى معاً ، بأن تَعَمِدَ إلى كلمتين أو أكثر فتُسْقِطَ من كُلِّ منها أو من بعضها حرفاً أو أكثرَ ، وتضمَّ ما بقي من أحرفِ كُلِّ كلمةٍ إلى الأخرى ، وتؤكِّفَ منها جميعاً كلمةً واحدةً فيها بعضُ أحرفِ الكلمتين أو الأكثر ، وما تَدُلُّان عليه مِنْ مَعَانٍ " (٣) .

(١) ينظر : مقاييس اللغة (٣٢٨/١-٣٢٩) ، الصاحبي (ص ٤٦١) . وينظر: العين للخليل (ص ٦٠-٦١) ،

والمزهر للسيوطي (٢٨٥/١) ، وشرح الكافية للرضي (٢/٢١٣) .

(٢) السيوطي/ المزهر ٤٨٢:١

(٣) الاشتقاق لعبد الله أمين (ص ٣٩١) ، . وينظر: تقرير لجنة النحت في مجمع القاهرة ، مجلة مجمع القاهرة (ج ٥١/٧) ، و"الاشتقاق السنجي وأثره في وضع المصطلحات" ؛ لمدوح خسارة ، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق العددان (٧٢، ٧١) السنة (١٨) ، "يوليو" ١٩٩٨ م - ربيع الأول ١٤١٨ هـ .

والتَّحْتُ من الظواهر اللغوية المشهورة في الدرس اللغوي العربي ، ويهتم علماء اللغة بدراسة هذه الظاهرة ، ويعدُّ (النحت) من الوسائل المختصرة والمشهورة لإثراء الثروة اللفظية للغة العربية ، فمثلاً بدلاً من أَنْ نَقُولَ : (فلان قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله) ، نقول باختصار : (فلانُ بَسَمَلَ وَحَوَّلَ) ، وكذلك : دَمَعَزَ ، وَطَلَبَقَ ،... الخ .

* أشكال النحت وحالاته :

أ- نحت فعلي من السمين ، وذلك بصياغة فعلٍ رباعيٍ منهما على وزن (فَعَّلَ) ، نحو (بَسَمَلَ) ؛ إذا قال : بسم الله .

ب- نحت فعلي من جملة ، وذلك بصياغة فعلٍ رباعيٍ منها على وزن (فَعَّلَ) ، نحو (حَوَّلَ) ؛ إذا قال : لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بال له . و(بَأْبَأَ) إذا قال : بأبي أنت .
ج- نحت اسمي من السمين ، نحو (حَبْرَمَان) نحتاً من حبِّ الرِّمَّان ، و(الحَزْرَمَة) من الحَزْم والرأي ، و (جلمود) من (جلد) و (جمد) .

د- نحت نسبي من عَلَمٍ مَرْكَبٍ إضافيٍّ : نحو عَبْقَسِيٍّ من عبد القيس ، وعبشميٍّ من عبد شمس ، وَيَيْمَلِيٍّ من تَيْمِ اللَّهِ . أو مركبٍ مزجيٍّ : نحو حَضْرَمِيٍّ من حَضْرَمَوْت . أو عَلَمٍ كنيةٍ : نحو: بَلْحَارِث من بني الحارث ، وَبَلْعَنْبَرٍ من بني العنبر . ومنه أن تنسب شخصاً إلى بلدي (طبرستان ، وخوارزم) مثلاً فتقول (طبرخزي) .(١)

(١) ينظر : النحت في اللغة العربية لمحمد حسن عبد العزيز ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٩٠ م ، (ص ٢٣)

الاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي ، ط مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٠٨ م ، (ص ٢٠-٢٤) .

* النحت في العربية وغيرها :

والنحت ليس ظاهرة عربية فقط ، وإنَّما يدخل في اللغات الأخرى ، فهو "طريقة حسنة تكثر بها مواد اللغة وتوسع أساليبها وله نظير في اللغة اليونانية وسائر اللغات الإفرنجية ، وهي التي كَثُرَتْ مواد لغاتهم ، وأحوجتنا إلى الأخذ منها ، .." (١) .
و يسمى النحت في اللغة الإنجليزية مثلاً (Hapology) ، أو (Abbreviation) أو (Acronymy) ، وهو يشبه الاختصار في اللغة العربية ، فهو عندهم "حذف بعض الأصوات من الكلمة اختصاراً لبنيتها وتيسيراً للنطق بها ، .." (٢) .

وقد توسَّع الدكتور عبد الصبور شاهين في درس هذه الظاهرة واستخدم لها مصطلح الاختصار ، وفي ذلك يقول : "عرفت اللغات الأوربية نمجاً من الاختصار (Hapology) يقوم على اختيار الحرف الأول من جميع الكلمات التي يشتمل عليها التركيب المراد اختصاره ن ثم توضع هذه الحروف بتركيبها منفصلاً بعضها عن بعض ، وتنطق غالباً متصلة ، وأحياناً منفصلة على شكل كلمة ذات مدلول اصطلاحى فالرمز (U.S.A) هو اختصار للعبارة (United States of America) ، وينطق بصورة منفصلة . وأشهر الاختصارات التي تنطق متصلة كلمة (يونيسكو) على الرغم من أنها مجموعة من الرموز تكتب هكذا (U.N.E.S.C.O) .
... وقد شاع هذا اللون من الاختصار في اللغة العلمية حتى أصبح وسيلة الرياضيات والفيزياء والكيمياء في التعبير عن مفاهيمها الثابتة ، ويكفي في بيان أهميته أن نرجع إلى جدول الرموز العلمية للعناصر الكيميائية" (٣) .

(١) كثر الرغائب للشدياق ، (١/٢٠٤-٢٠٥) .

(٢) ينظر : من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس ، ط الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٦م ، (ص ٧٨) ، النحت في اللغة العربية لـ محمد حسن ، (ص ٣٣) .

(٣) ينظر : العربية لغة العلوم والتقنية لعبد الصبور شاهين ، (ص ٢٩٤-٢٩٦) (بتصرف) ، والنحت لـ محمد حسن (ص ٣٤) .

وقد قدم الدكتور إبراهيم أنيس بحثاً يبين فيه أن تطور بنية الكلمة في معظم اللغات يتجه إلى تقصيرها واختصارها ، وأن النحت ليس في الحقيقة ليس إلا ناحية من هذا الاتجاه .

وفي عصرنا نجدهم ينحتون ويختصرون (س . ح . م) ؛ أي : (سكك حديد مصر) ، (ش . م . م) أي : (شركة مصرية مساهمة) ، ويقولون : (A . R . E) أو (ج . م . ع) اختصاراً لقولهم : (جمهورية مصر العربية) (Arab Rababic of Egypte) ، وقولهم : (U . N) للأمم المتحدة ، و (K . S . A) للمملكة العربية السعودية (kingdom of Saudi Arabia) ، و (الأوبك) (للدول المصدرة للبترول) ، و من ذلك (Laser) (ليزر) مأخوذة من (Light amplification by stimulated emission of radiation) .

هـ - الْحَصْرُ بِـ (إِلَّا) وَالْقَصْرُ بِـ (إِنَّمَا) :

ويمكن أن نعدّ من مظاهر الاختصار الحصر بإلا وإنما ، وعن ذلك يقول السيوطي : " ومن الاختصار باب الحصر بإلا وإنما وغيرهما ؛ لأن الجملة فيه تنوب مناب جملتين (١) ، ومن الحصر قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ (٢) ، ومنه قول الشاعر :

وما المَالُ والأهلون إلا ودائعُ ولا بد يوماً أن تُردَّ الودائعُ

ومن شواهد القصر قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٣) .

(١) الأشباه (٥١/١) . (تنظر الفرائد التي تستفاد من الحصر أو القصر في كتب البلاغة) .

(٢) سورة آل عمران ، من الآية (١٤٤) .

(٣) سورة الحجرات ، من الآية (١٠) .

٦ — الكناية : من الأبواب المشهورة في علم البيان أحد فروع علم البلاغة العربية ، وينقل السيوطي عن ابن يعيش قوله : " الكناية : التعبير عن المراد بلفظٍ غير الموضوع له لضربٍ من الإيجاز والاستحسان " (١) .

ومن شواهد ذلك وأمثلته قولهم عن المرأة : نؤوم الضحى ؛ أي : (هي من بيت عز وكرم ، وهي لا تستيقظ مبكرًا بل تنام حتى وقت الضُّحى ؛ لأن لديها مَنْ يخدمها من الخدم والحشم ، ولديها ما تدفعه لهم من المال .. الخ) ، فاختصروا كل ذلك بالكناية فقالوا : (نؤوم الضحى) . ومنه قولهم : (حول قبر أبيهم) ؛ أي : (إنهم أعزاء مقيمون بدار ملكهم لا ينتجعون كالأعراب ، .. الخ) . (٢) .

وبعد فما سبق بعض الشواهد التي دللنا به على انتشار ظاهرة الاختصار في الدرس اللغوي والنحوي والصرفي .

(١) الأشباه (٥٢/١) . و (تنظر الفوائد التي تستفاد من الكناية في كتب البلاغة) .

(٢) ينظر : خزانة الأدب (٢٨٧/٤) ، والتوهم عند النحاة للمؤلف (٧٤-٧٥) .

الفصل الرابع

الاختصار في ميزان أصول النحو العربي

ويشتمل هذا الفصل الحديث عن علاقة الاختصار بأصول النحو العربي ، فمما لاشك فيه أن أي ظاهرة لغوية نحوية لابد أن تستمد مشروعيتها من علاقتها بأصول النحو ، فكلما كانت العلاقة وطيدة كانت الظاهرة أكثر نفعا وشهرة في الدرس اللغوي والنحوي .

وأصول النحو العربي : هي مبادئ وتطبيقات قديمة قدم علم النحو ؛ لأن القبول والرفض والترجيح ، وما إلى ذلك كله يرجع إلى أصول إن لم تكن مكتوبة ، فهي معلومة مقررة يرجع إليها النحاة عند تعاملهم مع الظواهر اللغوية أو النحوية وشواهدها ، وموقف أصول النحو من أي ظاهرة لغوية نحوية هو الذي يحكم عليها بالبقاء في الدرس اللغوي النحوي من عدمه . وقد لخص العلماء أصول النحو في خمسة أصول ، وهي حسب أهميتها وقوتها كما يلي : (السماع ، والقياس ، والإجماع ، والاستحسان ، واستصحاب الحال) . وفي هذه الصفحات نحاول معرفة علاقة أصول النحو العربي بظاهرة الاختصار اللغوي عند العربية ، وسنركز الحديث على : السماع ، والقياس ، والإجماع ، والاستحسان ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : الاختصار والسماع

السماع : هو الكلام العربي الفصيح ، المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حدّ القلّة إلى حدّ الكثرة (١) ، وهذا يعني أن السماع يشمل كل ما ثبت عن العرب من كلام من يؤثق بفصاحتهم ؛ فشمّل كلام الله تعالى ، وهو القرآن الكريم ؛ وكلام نبيه ﷺ ، وكلام العرب قبل بعثته ، وفي زمنه وبعده ، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين ، نظماً ونثراً عن مسلم أو كافر (٢) . وللسماع عدّة روافد متنوعة ؛ منها : القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب كالنثر والشعر . ويخرج عن السماع ما جاء شاذّاً ؛ ككلام غير العرب أو كلام المولدين ، وغيرهم .

(١) الإغراب في جدل الإغراب (ص ٤٥) ، و لمع الأدلة (ص ٩٥)

(٢) الاقتراح (ص ١٧) .

ولقد أجمع النحاة العرب والعلماء على الأخذ بالسَّماعِ عن العرب في كل ما ورد فيه الاختصار عن العرب ، وعليه فكلُّ الشواهد التي سقناها في الفصل السابق وردت في السماع عن العرب تُقبَلُ ولا يُمكنُ ردُّ أيّا منها ، سواءً آيات القرآن الكريم أو القراءات ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة ، وكلام العرب شعراً ونثراً ، وإذا أردنا التمثيل أعدنا الفصل بكامله وأكثر من ذلك . لذا فلا داعي للإطالة .

ففي القرآن الكريم الكثير من الشواهد التي جاء الكلام معها مختصراً ؛ أي : كلاماً بألفاظٍ قليلةٍ يشتملُ على معانٍ كثيرةٍ ، ولا داعي للحصر أو التمثيل فقد ذكرنا طرفاً من ذلك في شواهد الفصل الرابع كما مرَّ . وحتىَّ القراءات القرآنية كانت ولا تزال تخفيفاً من الله تعالى لعباده المؤمنين ، وفي هذا الشأن يقول ابن الجوزي : "كانت العرب — الذين نزل القرآن بلغتهم — لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ، يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرفٍ إلى حرفٍ ؛ بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج ، لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً ؛ كما أشار النبي ﷺ حين أتاه جبريل فقال له : إنَّ الله يأمرُك أن تُقرئ أمَّتَكَ القرآن على حرفٍ ، فقال ﷺ : أسأل الله معافاته ومعونته ؛ إنَّ أمَّتِي لا تطيقُ ذلك ، ولم يزل يُردِّدُ المسألة حتى بلغ سبعة أحرفٍ ؛ فلو كلَّفوا العدولَ عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يُستطاع" (١).

وبالنسبة للشُّعْرِ العربي فقد توخَّى الشعراء العرب الاختصار في أشعارهم ، فالشعراء فئةٌ مُهمَّةٌ من العرب ، ولا يُضَحُّونَ بالاختصار إلا للضرورة الشُّعْريَّة . ومما يدخل معنا هنا اللهجات أو اللغات عند بعض القبائل العربية ، فبعض القبائل كانت تعتمد إلى الاختصار أكثر من غيرها من القبائل الأخرى ، فمثلاً الإدغام نجد بعض القبائل تدغم وغيرها تفكُّ ، فالإدغام لغة أهل تميم : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ

(١) ينظر : النشر (٢٢/١) ، البحث اللغوي لمختار عمر (ص ٢١) ، والحديث عند مسلم برقم (١٨٥٦) ،

ومسند الإمام أحمد برقم (٢٠٨٠٠) ، والنسائي برقم (٩٣٧) .

يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ ، والفكُّ لغةُ أهلِ الحجازِ : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - ﴾ (٢)

وكذلك بعض القبائل تلحق علامة التثنية أو الجمع أو بالفعل (بنو الحارث بن كعب) ؛ وهو ما يسميه بعض النحاة (لغة أكلوني البراغيث) أو (يتعاقبون فيكم) (٣) ، والبعض يُفَرِّدُ الفِعْلَ طلباً للاختصار.

وفي (لعل) لغات ولهجات ، ومن المعلوم أنَّ الزيادة ضد الاختصار ، ولذلك "الحروف بعيدةٌ منه ؛ لأن الحرف وضع اختصاراً، والزيادة عليه تنافي ذلك ، وأما مجيئها بغير لام فلغةٌ فيها أو حذف حرف أصلي، والحذف من جنس الاختصار فهو أولى من الزيادة ، وفي (لعل) لغات، وهي لَعْضَلٌ وَعَلٌ وَعَنَّ وَلَعَنَّ وَرَعَنَّ وَلَعَنَّ، والمشهور الأوليان، وأكثر العرب تنصب بها ، ومنهم مَنْ جَرَّ بها وهو قليل" (٤). ومثلاً " (اثنان) للمذكرين و(اثنتان) للمؤنثين في لغة الحجاز ، و(ثنتان) لهما في لغة تميم" (٥).

ومما سبق يتأكد لنا أن الاختصار قد استمد مشروعيته وأخذ شواهد من السماع العربي ؛ لذلك لاقى الاختصار التأييد والموافقة من العلماء والدارسين ، وقد سبق ذلك حرص العرب على الاختصار فهو جُلُّ كلامهم .

(١) سورة الحشر ، من الآية (٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

(٣) ينظر : الكتاب (١٩/١) (٤١/٢) (٢٠٩/٣) ، والأصول لابن السراج (١٧٢/١) (٣٤٧/٢) ، وسر صناعة

الإعراب (٩٢٩/٢) ، و مغني اللبيب (١٥٧/١) (٤٧٨/١) ، ومع الهوامع (٥٧٩/١) (٢٦٩/٣) ، وشرح قطر

الندي (١٨/١) (٢٨٨/١) .

(٤) ينظر : اللباب (٢٠٧/١)

(٥) ينظر : شرح شذور الدب (٦٦٠/١)

ثانياً : الاختصار والقياس

القياس : في عرف الأصوليين هو : "تقدير الفرع بحكم الأصل" ، وقيل هو : "حمل فرع علي أصل بعلة جامعة ، وهو : "إجراء حكم الأصل علي الفرع" ، وقيل : "إلحاق الفرع بالأصل لعل بـ (جامع) ؛ وكل ذلك حدود متقاربة ، ومن المهم أن نعرف أن النحاة هم الذين أجروا عملية القياس وليس العرب ؛ لأن عملية القياس إنما يقوم بها أولئك الذين كرسوا حياتهم لخدمة العربية ، أما أصحاب اللغة الذين يُحتج بكلامهم فلا يكادوا يلجأون إلي القياس في حياتهم" (١). وقد استخدم النحاة القياس واعتمدوا عليه منذ زمن بعيد ، وقد اعتمد النحاة — فيما يهمنا — علي القياس في اطراد قواعدهم حتى قيل : إن النحو "هو العلم المستنبط من استقراء مقاييس العرب" (٢) ؛ فالتحوي كلُّه قياسٌ "ومن يُنكر القياس فقد أنكر النحو" (٣).

ومن القواعد المقررة لدي النحاة هي "إذا حدث تعارض — بين السماع والقياس — نطقت بالمسموع علي ما جاء عليه ؛ ولم تقسه في غيره" (٤). والحق أن العرب كما ذكرنا مراراً نطقوا علي سحيتهم ، وجاء النحاة واستنبطوا القواعد والأحكام ، واستخرجوا العلل وغير ذلك ، وعن ذلك يقول الخليل : "إن العرب قد نطقت علي سحيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها، وقامت في عقولهم علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها ، وعللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه؛ فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمسست، وإن يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل، فإن مُنحت بغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلومات فليأت بها" (٥).

(١) ينظر : لمع الأدلة (ص ٩٣) ، والاقتراح (ص ٤٥) .

(٢) ينظر : نزهة الألباء (ص ٢٢) ، وطبقات النحويين للزبيدي (ص ٢٥)

(٣) ينظر : الاقتراح (ص ٤٥) .

(٤) ينظر : لمع الأدلة (ص ٩٥) .

(٥) ينظر : الخصائص (١١٧/١) .

(٦) ينظر : الاقتراح (٦٨) .

ومنْ يَطَّلِعْ على التَّراثِ النَّحْوِيِّ والشُّواهدِ النحويةِ واللُّغويةِ يتأكَّد أنَّ النُّحاةَ قد عرَضُوا هذه الشُّواهدَ على هذا الأصلِ (القياسِ) ، فالنحوُ كله قياسٌ عندهم ، وكذلك هو انتحاءُ سَمْتِ كلامِ العربِ في تصرفه من إعرابٍ وغيره ، وهو "علمُ استخراجهِ المتقدِّمون من استقراءِ كلامِ العرب" .

وهم يتعاملون مع شواهد الاختصارِ وغيرها يُعلِّلون ويُرجِّحون ويَقْبَلون ويردُّون وغير ذلك ، ومن ذلك حكمهم بعدمِ قياسية حذفِ حروفِ المعاني ، وفي هذا الشأن يقول ابنُ جني : "اعلم أنَّ الحروفَ لا يليقُ بها الزيادةُ ولا الحذفُ ، وأنَّ أعدلَ أحوالها أنْ تُسْتَعْمَلَ غيرَ مَزِيْدَةٍ ولا مُحْدَوْفَةٍ ، فَأَمَّا وَجْهُ الْقِيَّاسِ فِي امْتِنَاعِ حَذْفِهَا فَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الغرضَ في الحروفِ إمَّا هو الاختصارُ " (١) ، ويقول أيضًا : "واعلم أنَّ حرفَ العطفِ هذا قد حذفَ في بعضِ الكلامِ إلا أنَّه من الشَّاذِّ الذي لا ينبغي لأحدٍ أنْ يقيسَ عليه غيره ... فحذفَ حرفَ العطفِ ، وهذا عندنا ضعيفٌ في القياسِ معدومٌ في الاستعمالِ ، وَوَجْهُ ضِعْفِهِ أَنَّ حَرْفَ العطفِ فيه ضربٌ من الاختصارِ " (٢) .

وقد حكموا بقاسيةِ حذفِ (كان) كما في قولهم : (أَمَّا أَنْتَ مَنْطَلِقًا) ؛ والأصلُ : أَمَّا كُنْتَ مَنْطَلِقًا (٣) . ومنْ يَدَقِّقُ النظرَ في الشُّواهدِ التي درسناها في الفصلِ السابقِ يجدُ أنَّ النُّحاةَ قد كانَ لهم عدَّةُ مواقف من هذه الشُّواهدِ ؛ ومن ذلك ما يلي :

أولاً : ما قصرَّوه على السَّماعِ ؛ وهو قليل .

ومنهُ حذفُ الفعلِ وجوبًا مع المصادرِ (ليكَ ، وسعديكَ ، دواليكَ ، حنانيكَ) .
ومنهُ " (أَل) اللازمةُ الداخلةُ على علمٍ منقولٍ من مجردِ صالحٍ لها ملموحٍ أصله ؛ كحارثٍ وعباسٍ وضحَّاكَ ، فتقولُ فيها : الحارثُ والعباسُ والضحَّاكُ ، ويتوقفُ هذا

(١) ينظر : سر صناعة الإعراب (٢٦٩/١) ، والخصائص (٢٧٣/٢) .

(٢) ينظر : سر الصناعة (٦٣٦-٦٣٥/٢) .

(٣) ينظر : الكتاب (٢٩٣/١) . والأصول لابن السراج (٢٥٤/٢) ، والخصائص (٣٨٠/٢) ، ومغني اللبيب (١/

٨٢٨) ، والإنصاف (٧١/١) ، والمجمع (٣٤٥/١) وغيرها .

النوع على السماع ، ألا ترى أنه لا يقال مثل ذلك في نحو : محمد ومعروف وأحمد" (١).

ومنه استخدام (الواو) العاطفة بدلاً من (مع) ؛ فإن الواو أصلها العطف ، وجعلها بمعنى (مع) اتساع لا سيما والنصب بعدها بالعامل الذي قبلها ، وكل ذلك خروج عن القياس ؛ فيقتصر به على السماع" (٢).

ومنه بعض المصادر "وما كان على (فعل) فإنه على (يفعل) ، وليس لمصادر المضاعف ولا الثلاثي كله قياسٌ يحتمل عليه ؛ وإنما ينتهي فيه إلى السماع أو الاستحسان" (٣). ومنها ما يكون بمعنى مفعول كقتيل وجريح فليس يدرك بقياس إنما ينتهي فيه إلى السماع" (٤) .

ومن ذلك "قولهم : (جُحِرُ ضَبٌّ خَرِبٍ) محمولٌ على الشذوذ الذي يقتصر فيه على السماع لِقَلَّتْهُ ولا يُقَاسُ عليه ؛ لأنه ليس كلُّ ما حُكِيَ عنهم يُقَاسُ عليه ، ألا ترى أن اللحياني حكى أن من العرب من يجزم بلن وينصب بلم ، إلى غير ذلك من الشواذ التي لا يلتفت إليها ، ولا يُقَاسُ عليها" (٥) .

وكذلك قولهم : "الحملُ على المعنى اتساعٌ يقتصر فيه على السماع" (٦) . وكذلك قولهم : "الجرُّ بالحرف المحذوف مسنوعٌ غير منقاس" (٧) ، والأدلة والشواهد كثيرةٌ وتؤكد أن النحاة والعلماء العرب قد قصرُوا بعضَ الشواهدِ والظواهر اللغوية على السماع ، ولم يقيسوا عليها .

(١) معنى اللبيب (٧٤/١) .

(٢) الفصول المفيدة في الواو المزيدة (٢٠٠/١) .

(٣) الأفعال (١٠/١) .

(٤) الأفعال (٢٢/١) .

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف (٦١٥/٢) .

(٦) المصدر السابق نفسه ، (٧٨١/٢) .

(٧) هم الهوامع (٤٤٢/١) .

ثانيًا : ما قبلوه في السماع والقياس معًا ؛ كثير جدًا .

وقد يطال معظم الشواهد التي سقناها للاختصار فيما سبق . ومنه جواز تقديم الخبر على المبتدأ مفردًا كان أو جملة ، ومنعه الكوفيون ، والدليل على جوازه السماع والقياس^(١).

ثالثًا : ما اختلفوا حول قياسيته ، وهذا قليل أيضًا .

ومنه قول ابن الأنباري : " في قولنا : أكرمت عمرًا وزيدًا ، فإن قيل : لم حذفت (مع) وأقيمت (الواو) مقامها ؛ قيل : حذفت (مع) وأقيمت (الواو) مقامها توسعًا في كلامهم ؛ طلبًا للتخفيف والاختصار ، فإن قيل : فلم كانت (الواو) أولى من غيرها ، قيل : إنما كانت (الواو) أولى من غيرها ؛ لأن (الواو) في معنى (مع) ؛ لأن معنى (مع) المصاحبة ومعنى (الواو) الجمع ، فلما كانت في معنى (مع) كانت أولى من غيرها ، فإن قيل : فهل يجوز تقديم المنصوب ههنا على التائب ؟ قيل : لا يجوز ذلك ؛ لأن حكم (الواو) ألا تتقدم على ما قبلها ، وهذا الباب من النحويين من يجري فيه القياس ، ومنهم من يقصره على السماع ، والأكثرون على القول الأول ، فاعرفه نصب إن شاء الله تعالى^(٢) ، ومنه أيضًا : " (أمس) يصغر فيعرب عند الجميع ، كما يعرب إذا كسر ، ونص سيويه على أنه لا يصغر ؛ وقوفًا منه على السماع ، والأولون اعتمدوا على القياس ، ويشهد لهم وقوع التكسير ؛ فإن التكسير والتصغير أخوان " .^(٣)

رابعًا : ما ردوه لعدم موافقته السماع ولا القياس ، وهذا نادر وشاذ فردوه . فمثلاً (حذف الحرف) "ضعف وسقوط في القياس ؛ وذلك أن التوكيد من مواضع الإطناب والإسهاب ، ولا يليق به الحذف والاختصار ، فإذا كان السماع والقياس

(١) اللباب (١٤٢/١) .

(٢) أسرار العربية (١٧٢/١) .

(٣) شرح شذور الذهب (١٣٠/١) .

جميعاً يدفعان هذا التأويل وجب إلغاؤه وإطراحه والعدول عنه إلى غيره مما قد كثر استعماله ووضح قياسه " (١) وفي هذا الشأن يقول ابن جني : " ثم اعلم من بعد هذا أن الكلام في الاطراد والشذوذ على أربعة أضرب : مُطَرِّدٌ في القياس والاستعمال جميعاً ؛ وهذا هو الغاية المطلوبة والثابتة المنوية ، . . . ومُطَرِّدٌ في القياس شاذٌ في الاستعمال ، ومُطَرِّدٌ في الاستعمال شاذٌ في القياس ، وشاذٌ في الاستعمال والقياس معاً ؛ وهذا مطروح " (٢) . وقد حَدَّدَ لنا ابن جني كيفية التعامل أو التصرف عندما يتعارض السماع مع القياس في شاهد لغوي فيقول : " واعلم أن الشيء إذا اطرَدَ في الاستعمال وشذَّ عن القياس فلا بدَّ من اتباع السَّمْعِ الوارد به فيه نفسه ؛ لكنَّه لا يُتخذُ أصلاً يُقاسُ عليه غيره ، فإن كان الشيء شاذاً في السَّمْعِ مُطَرِّداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك ، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله " (٣) . ويقول : " وإذا كان الأمر كذلك علمت قوة السماع وغلبته للقياس ، ألا ترى أن سماعاً واحداً غلب قياسين اثنين " (٤) .

* النحت بين السَّمْعِ و القياس (٥)

المتقدمون على أن التَّحْتَ سماعيٌّ فيوقفُ عند ما سَمِعَ ، وليس لنا أن نَنحت ؛ ولم يُنقلَ عنهم ما يُبيح قياسيَّته ، إلا شيئاً يسيراً ورد عن نُحاة متأخرين ، فقد قال الخضرى في حاشيته على ابن عَقِيل : " ونُقل عن فقه اللغة لابن فارس قياسيَّته ، ومثل ذلك نقل الأشموني ، لكن عبارة ابن فارس في كما نقلها السيوطي لا تنصُّ على

(١) سر صناعة الإعراب (٨٢/١) .

(٢) ينظر : الخصائص (٩٧/١) (بصرف) .

(٣) الخصائص (٩٩/١) .

(٤) الخصائص (٤٦/٢) .

(٥) ينظر : بحث " الاشتقاق النحوي وأثره في وضع المصطلحات " للدكتور ممدوح محمد حسارة ، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق العددان ٧١ - ٧٢ - السنة ١٨ - تموز " يوليو "

١٩٩٨ م - ربيع الأول ١٤١٨ هـ .

قياسيته ، وهي: "العربُ تُنَحَّتْ من كلمتين كلمةً واحدةً ، وهو جنسٌ من الاختصارِ ؛ وذلك نحو: (رجل عَشْمِي) منسوبٌ إلى اسمين ، وهذا مذهبنا في أن الأشياءَ الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوتة". هذه العبارة لا تُجيز القياس إلا على مذهب ابن فارس في أن ما فوق الثلاثي معظمه منحوت. (١)

وقد شكَّلَ مجمعُ القاهرة سنة ١٩٥٣ لجنةً لم تقترح قياسية النحت ، بل قالت بجوازه في العلوم والفنون (٢) ، وعليه قرَّرَ المجمعُ جوازَ النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية . وفي سنة ١٩٦٥م وبعد ثلاثين سنة من أول طرح لقضية النحت اتخذ مجمع القاهرة قراراً أكثرَ حَسْماً يقول فيه: "النحتُ ظاهرةٌ لغوية احتاجتُ إليها اللغة قديماً وحديثاً ، ولم يُلتزم فيها الأخذُ من كلِّ الكلمات ، ولا موافقةُ الحركات والسكنات ، وقد وردتْ من هذا النوع كثرةٌ تجيزُ قياسيته . ومن ثم يجوز أن يُنَحَّتْ من كلِّ كلمتين أو أكثر اسم أو فعلٌ عند الحاجة ، على أن يُراعَى ما أمكن استخدامُ الأصلي من الحروف دون الزائد ، إن كان المنحوتُ اسماً اشترط أن يكون على وزنٍ عربي ، والوصفُ منه بإضافة ياء النسب ، وإن كان فعلاً كان على وزن (فَعْلَلٌ أو تَفَعَّلَل) ، إلا إذا اقتضت غير ذلك الضرورة ، وذلك جرياً على ما ورد من الكلمات المنحوتة" (٣) .

أمَّا لجنة اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي ، فقد كانت أكثرَ تشدُّداً في قرارها: "عدمُ إجازةِ النحتِ إلا عند عَدَمِ العثور على لفظٍ عربي قديمٍ واستفادٍ وسائلِ تنمية اللغة ، على أن تلجئَ إليه ضرورةٌ قصوى وأن يُراعَى في اللفظ المنحوت النوقُ العربي وعدمُ اللبس" (٤) .

(١) ينظر : مقاييس اللغة ١ : ٣٢٩- ٣٢٨ ، والخليل- العين : (ص ٦٠- ٦١) .

(٢) مجمع القاهرة/ تقرير لجنة النحت/ مجلة مجمع القاهرة (٧ : ٢٠٣) .

(٣) مجمع القاهرة/ قرارات الدورة (١٤)/ مجلة مجمع القاهرة (٧ : ١٥٨) . مصطفى الشهابي/ المصطلحات

العلمية في اللغة العربية ، (٢٠٤) .

(٤) ينظر : حركة التعريب في العراق ، د أحمد مطلوب ، (ص ١٧٤)

أما عبد الله أمين فيرى أنَّ الكلمة المنحوتة التي توفرت فيها شروطُ النحت "هي عربيةٌ على القاعدة التي وضعها المازني وتابعه عليها الفارسي ثم ابن جني وهي: ما قيسَ على كلام العرب فهو من كلامهم" (١) ، ويُضيف أنَّ "الكلمة المنحوتة على نحو من الأنحاء هي خيرٌ من استعارة كلمة أعجمية بمعناها..؛ لأنها وإن لم توضع وضعاً لغوياً أصيلاً، فإنها قد وُضعت على أسسٍ عربية" (٢).

ولكنَّ ابن فارس أكبرَ القائلين بالنحت ، لم يُعَدِّه وسيلةً توليدٍ بل وسيلةً اختصارٍ إذ قال: "العربُ تنحت من كلمتين كلمةً واحدةً ، وهو جنسٌ من الاختصار" (٣) ، وكلُّ المنحوتات المُتداوِلة — ومعظمُها من بعدِ عصر الاحتجاج — لم يكن فيها معنى جديد ، وإنما هي اختصارٌ لتركيبٍ طويلٍ مألوفٍ كأنَّ يقال : (عَبْشَمِي) بدل (عبد شمسِي) ، أو هي وسيلةٌ لإزالة اللبسِ كأنَّ يقال (بَهْشَمِي) (٤) بدل قولهم: (أبو هاشمي) نسبةً إلى (أبي هاشم) أحد أصحاب الفرق.

ولذلك فنحن مع قياسية النحت واستعماله عند الضرورة ؛ وليس القياس عليه على الإطلاق ، وهذا يتوافق مع ما ذهبت إليه بعض اللجان في بعض المجامع اللغوية العربية .

(١) عبد الله أمين - الاشتقاق : (ص ٤٤٦)

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٤٤١).

(٣) ابن فارس - الصحاحي : (ص ٢٢٧) . والمزهر (١/ ٤٨٢) .

(٤) ينظر : سليم النعيمي، مقال "النحت" ، مجلة المجمع العراقي (٢٣ : ٩٠ - ٩١)

ثالثاً : الاختصار والإجماع

الإجماع : هو الاتفاق ، وله في عرف النحاة نوعان :

أولهما : إجماع العرب : وهو أن تُجمع العرب على أمر وتنطق به ، وعنه يقول السيوطي : "إجماع العرب أيضاً حجة" ، ولكن أتى لنا بالوقوف عليه ، ومن صورته أن يتكلم العربي بشيء ويلغهم فيسكتون عليه^(١) . وعلى ذلك نجد معظم شواهد الاختصار التي درسناها تقع في نطاق هذا النوع من الإجماع ، فإجماعهم أن نابت (يا) مناب (أدعو) ، ونابت (هل) مناب (استفهم) ، ومنه "إجماع العرب الحجازيين على قولهم : اردد الباب ، واصبب الماء ، واسلل السيف"^(٢) ، واتفق الحجازيون والتميميون وسائر العرب على بناء فعال المعدول على الكسر إذا كان مصدراً ومأخذه السماع كفَجَّارٍ وحمَّادٍ ويسَّارٍ^(٣) ، وغير ذلك . وعن هذا النوع من الإجماع يقول ابن جني : "أنا متى رأيناهم قد زادوا الحرف فقد أرادوا غاية التوكيد ، كما أننا إذا رأيناهم قد حذفوا حرفاً فقد أرادوا غاية الاختصار ، ولولا ذلك الذي أجمعوا عليه واعتزموه لما استجازوا زيادة ما الغرض فيه الإيجاز ولا حذف ما وضعه على نهاية الاختصار ؛ فقد استغنى عن حذفه بقوة اختصاره"^(٤) .

ثانيهما : إجماع نخاة البلدين : وهم نخاة البصرة والكوفة وهو أيضاً حجة ما لم يخالف السماع ، ومن البدهى ألا يخالف القياس الذي صنعه النخاة أيضاً^(٥) ، ومنه إجماعهم على أن حروف المعاني وضعت للاختصار^(٦) ، والتثنية والجمع ناب عن واو العطف في المثني والجمع ، وغير ذلك مما ذكرناه. وعن النوع الثاني يقول ابن جني

(١) ينظر : الاقتراح (ص ٨٩ - ٩٠) .

(٢) الخصائص (٩٠/١) .

(٣) مع الهوامع (١٠٩/١) .

(٤) سر صناعة الإعراب (٢٧٠/١) .

(٥) ينظر : الخصائص (١٩٨/١) ، الاقتراح (ص ٨٨) ، ولمع الأدلة (٣٠) .

(٦) سر صناعة الإعراب (٢٦٩/١) .

في (باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة) : " اعلم أن إجماع أهل البلدين إنمّا يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص ، فأمّا إن لم يُعطِ يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه ؛ وذلك لأنّه لم يَرِدْ مِمَّنْ يُطاع أمره في قرآن ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ ؛ كما جاء النص عن رسول الله ﷺ من قوله [أمتي لا تجتمع على ضلالة] ، وإنمّا هو علّم مُتَتَرَعٍ من استقراء هذه (١) .

ثم يعود ابن جني ليؤكد أن باب التعليل والاجتهاد في اللغة لم يُقفل بل " فكلُّ مَنْ فَرَّقَ له عن عِلَّةٍ صحيحة ، وطريق نهجه ، كان خليل نفسه ، وأبا عمرو فِكْرِهِ ؛ إلا أنّنا مع هذا الذي رأيناه وسوغنا مرتكبه لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها ، وتقدّم نظرها ، وتالت أواخرُ على أوائل وأعجاز على كلاكِل ، والقوم الذين لا نَشْكُ في أن الله سبحانه وتقدست أسماؤه قد هدامهم لهذا العلم الكريم ، وأراهم وجه الحكمة في الترجيب له والتعظيم ، وجعله بركاتهم وعلى أيدي طاعتهم خادِمًا للكتاب المنزّل وكلام نبيّه المرسل ، وعوّنًا على فهمهما ، ومعرفة ما أمر به أو نهى عنه الثقلان منهما إلا بعد أن يناهضه إتقانًا ، ويثابته عرفانًا ، ولا يخلد إلى سائح خاطره ، ولا إلى نزوة من نزوات تفكيره ، فإذا هو حدًا على هذا المثال ؛ وباشر بإنعام تصفحه أحناء الحال ؛ أمضى الرأي فيما يريه الله منه غير معازٍ به ، ولا غاصّ من السلف رحمهم الله في شيء منه ، فإنّه إذا فعل ذلك سدد رأيه وشيّع خاطره ، وكان بالصّواب مئنة ، ومن التوفيق مظنة " . (٢)

والأمثلة والشواهد التي تؤكد على وجود الإجماع على الاختصار ومظاهره وشواهده ووسائله كثيرة ، وعن ذلك ما يلي : يقول ابن السراج في باب (ذكر الابتداء) : " كلُّ كلمة يُبتدأُ بها من (اسم وفعل وحرف) فأول حرف تبتدئ به وهو

(١) الخصائص (١/١٨٩) .

(٢) المصدر السابق نفسه ، (١/١٩٠) .

مُتَحَرِّكٌ ثَابِتٌ فِي اللَّفْظِ ، فَإِنْ كَانَ قَبْلَهُ كَلَامٌ لَمْ يُحَذَفْ ، وَلَمْ يُعَيَّرْ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 أَلْفٌ وَصَلٌ فَتُحَذَفُ الْبَتَّةُ مِنَ اللَّفْظِ ؛ وَذَلِكَ إِجْمَاعٌ مِنَ الْعَرَبِ " (١) .
 وَيَجُوزُ بِالْإِجْمَاعِ حَذْفُ الْمَفْعُولِينَ اخْتِصَارًا ؛ أَيْ لِدَلِيلٍ ؛ نَحْوُ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ أَيْنَ
 شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢) . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
 بَأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حِيْثُهمْ عَارًا عَلًى وَتَحْسِبُ
 أَيْ : تَزْعُمُوهُمْ شُرَكَائِيَ ، وَتَحْسِبُ حِيْثُهمْ عَارًا عَلًى (٣) .
 وَفِي هَذَا الشَّأْنِ يَقُولُ ابْنُ هَشَامٍ : "جَرَتْ عَادَةُ النُّحَوِيِّينَ أَنْ يَقُولُوا يُحَذَفُ
 الْمَفْعُولُ اخْتِصَارًا وَاقْتِصَارًا ، وَيُرِيدُونَ بِالْاِخْتِصَارِ الْحَذْفَ لِلدَّلِيلِ ، وَبِالْاِقْتِصَارِ
 الْحَذْفَ لَغَيْرِ دَلِيلٍ ، وَيُمَثِّلُونَهُ بِنَحْوِ : كُلُّوا وَاشْرَبُوا ؛ أَيْ : أَوْقَعُوا هَذَيْنِ الْفَعْلَيْنِ ،
 وَقَوْلِ الْعَرَبِ فِيمَا يَتَعَدَّى إِلَى اثْنَيْنِ : مَنْ يَسْمَعُ يَحُلْ ؛ أَيْ : تَكُنْ مِنْهُ خِيْلَةً " (٤) .
 وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ إِذَا جَرَى عَلَى مَنْ هُوَ لَهُ لَا يَجِبُ
 إِبْرَازُهُ (٥) . وَأَجْمَعَ الْكُوفِيُّونَ وَالْبَصْرِيُّونَ عَلَى أَنَّ الْأَفْعَالَ الْمُضَارَعَةَ مَعْرَبَةٌ ، وَاخْتَلَفُوا فِي
 عِلَّةِ إِعْرَافِهَا (٦) ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْكَافَ فِي نَحْوِ (ضَرَبْتَكَ) مِنَ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ (٧) .
 وَأَجْمَعُوا عَلَى جَوَازِ قَصْرِ الْمُدَوْدِ فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ (٨) .
 وَمِنْهُ أَيْضًا " الَّتِي وَالَّذِي وَاللَّذِينَ وَاللَّتِينَ وَالَّذِينَ وَاللَّاتِي وَاللَّائِي ؛ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ،
 فَإِنَّ إِجْمَاعَ النُّحَوِيِّينَ كُلِّهِمْ عَلَى أَنَّ (الْأَلْفَ وَاللَّامَ) فِي أَوَائِلِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِلتَّعْرِيفِ ،

(١) الأصول في النحو (٣٦٧/٢) .

(٢) سورة القصص ، الآية (٦٢) .

(٣) أوضح المسالك (٦٩/٢) .

(٤) معني اللبيب (٧٩٧/١) .

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف (٥٨/١) .

(٦) المصدر السابق نفسه ، (٥٤٩/٢) .

(٧) الخصائص (١٠١/١) .

(٨) الإنصاف في مسائل الخلاف (٧٤٥/٢) ، أوضح المسالك (٢٩٥/٤) .

ولم تعر قط منها". (١) وأجمع البصريون والكوفيون على أنه لا يُستعمل من ذلك إلا ما استعملته العرب ، ولا يُقاس عليه غيره. (٢)

وقال السيرافي: "أجمع النحويون واللغويون من البصريين والكوفيين على أن الواو للجمع من غير ترتيب ، فإذا قيل : جاء زيد وعمرو ، فمعناه أنهما اشتركا في الجيء". (٣) وأجمع النحويون من البصريين والكوفيين على أن الفعل إذا دخلت عليه هذه السلام كان مجزوماً بها لغائب كان أو لحاضر كقولك ليذهب زيد ولتركب يا عمرو. (٤)

ولقد رأينا أن أصول النحو تترابط ويقوي بعضها بعضاً ، وهنا أيضاً يجوز النحاة "القياس على ما أجمعوا عليه". (٥) ويقول السيوطي نقلاً عن أبي حيان : "ما هو مخلف لإجماع البصريين والكوفيين لا يلتفت إليه". (٦) ويقول ابن الأنباري : "فلما أدي قولهم إلى خلاف الإجماع وجب أن يكون فاسداً". (٧)

ويجب ألا يكون الإجماع مخلفاً أو مناقضاً للأصول ، فإن خالف الرأي وناقض ما سبق ذكره "لا يُرجع فيه إلى إجماع ، ولا إلى سابق سنة ولا قديم ملة ، ألا ترى أن إجماع النحويين في هذا ونحوه لا يكون حجة ؛ لأن كل واحدٍ منهم إنما يردُّك ويرجع بك فيه إلى التأمل والطبع لا إلى التبعية والشرع". (٨)

(١) اللامات (٤٨/١) .

(٢) مع الموامع (٢٩/٢) .

(٣) شرح قطر الندى (٣٠١/١) .

(٤) اللامات (٩٤/١) .

(٥) الأصول في النحو (١٧٣/١) .

(٦) مع الموامع (١٦٠/٣) .

(٧) الإنصاف في مسائل الخلاف (٥٥٣/٢) .

(٨) الخصائص (٣٢٦/٢) .

رابعاً : الاختصار والاستحسان

الاستحسان : هو : "ترك قياسي الأصول للدليل" (١) ، أو هو : "الاعتماد عند ترجيح حكمٍ علي حكمٍ علي الاتساع والتصرف دون علة قوية" (٢) ، ويقول عنه ابن جني : "وجماعة أن علة ضعيفة غير مستحكمة ، إلا أن فيه ضرباً من الاتساع والتصرف" (٣) .

وللإستحسان نوعان (٤) :

أولهما : استحسان العرب : وهو كل ما استحسنت العرب ونطقوا به لغتهم ؛ كي تتطور وتؤدي الفائدة من النطق والكتابة بها ، وعليه كل شواهد الاختصار السابق ذكرها ، ويجب الأخذ بما استحسنته العرب ؛ لأنه " ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسنًا ، والذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مستقبحًا " (٥) ، ويمكن أن يلجأ العرب للإستحسان إلى " استحسان المشاكلة ، أو المناسبة اللفظية أو الجوار ، أو نحو ذلك ، وتفضيله علي الاستصحاب " (٦) .

ثانيهما : استحسان النحاة : وهو ما استحسنته النحاة وارتضوه ، وذلك بعد عرضه علي الأصول النحوية السابقة ؛ كالسماع ، والقياس ، والإجماع ، وهذا النوع أيضاً وجدناه في أبواب الاستغناء السابق ذكرها .

(١) ينظر : لمع الأدلة (ص ١٣٣) ، والاقتراح (ص ٩١) .

(٢) ينظر : الاتساع في الدراسات النحوية (ص ٩٧) .

(٣) ينظر : الخصائص (١/ ١٣٣) .

(٤) ينظر : الكتاب (٢/ ٦٩ ، ١٢٤) — (٣/ ٥٤٩) .

(٥) ينظر : المثل السائر (١/ ١٧١) ، ولمع الأدلة (ص ١٣٤) .

(٦) ينظر : الأصول لتمام حسان (ص ٢٠٤ ، ٢٠٥) (بتصرف) .

وبعد فقد تعرّفنا علي أصول النحو التي اتخذها النحاة عماداً في بناء قواعد النحو ، وهم استنبطوها من كلام العرب وطَبَّقُوهَا علي كلام العرب ، فنجد النحاة قد نسبوا الاستغناء والاختصار والحذف وغير ذلك إلي العرب ؛ لأن (المستغنى به) و (المستغنى عنه) من كلام العرب وعلي مُثْلِهِمْ ، والاختصار والاستغناء والإيجاز وغير ذلك سمع عن العرب ، واكتشفه النحاة خلال طردهم لقواعدهم وأقيستهم ؛ فما شَدَّ عن قياسهم أمعنوا النظر فيه ، وقالوا فيه بالاستغناء أو الاختصار كما أولوا غيره أو حملوه علي المعنى .. الخ .

وفي ثنايا حديثهم عن الاختصار لدي العرب اجتهد النحاة وعلّلوا لشواهدهم ، ووجدنا أن هذا الاختصار قد أجمع عليه العرب والنحاة في معظم صُورِهِ وشواهدهم ، وعرفنا أن النُّحَاة قد تابَعوا العرب في استحسانهم لمظاهر الاختصار ووسائله وشواهدهم وصُورِهِ . ومن ذلك ما ذكره ابن جني : "إِنَّهُمْ قد يستعملون من الكلام ما غيره أثبت في نفوسهم منه ؛ سعة في التَّفْسُح وإرخاء للتنفس ، وشحاً علي ما حشموه فتواضعوه أن يتكارهوه ، فبلغوه ويطرحوه ، فاعرف ذلك مذهباً لهم" (١) ، ومنه أن العرب قد استغنت بقولها (إلا) عن (أستفهم) ، واستغنوا بقولهم (ما) عن (أنفي) ، وكذلك استغنوا بقولهم (يا) عن الفعل (أدعو أو أنادي) ، "فتلك الأفعال النائية عنها هذه الحروف هي الناصبة في الأصل فلما انصرفت عنها إلي الحروف طلباً للإيجاز ، ورغبة عن الإكثار ، أسقطت عمل تلك الأفعال ؛ ليتم لك ما أنتجته من الاختصار" (٢) . والعرب هم الذين استحسنوا (ترك) وتركوا (ودع) ، واستحسنوا جمع القلة وتركوا جمع الكثرة والعكس في المواضع السابق ذكرها ، ومن المؤكد أن الاستغناء كله قائم علي الاستحسان لدي العرب الفصحاء ؛ لذا وجب الأخذ به ؛ لأنَّ الْعَرَبَ كثيراً ما عَبَّرُوا" عن المراد بلفظ غير الموضوع له لضرب من الإيجاز

(١) الخصائص (٣/ ٣٣١) .

(٢) المصدر السابق نفسه ، (٢/ ٢٧٦) .

والاستحسان" (١).

فنحن " بالعرب لاحقين ، وعلى سمتهم آخذين ، وبألفاظهم مُتَحَلِّين ، ولمعانيهم وقصورهم آمين ، .. (٢) ."

وأما أمثلة الاستحسان فمنها أن فعل الأمر لا يُشابه الاسم حتى يحمل عليه في الإعراب بخلاف المضارع ، فإنه يُشبه الاسم لوجود حرف المضارعة ، وليس في لفظ الأمر هنا حرف مضارعة يُشبه به الاسم ؛ فعند ذلك يجب أن يكون مبنياً. (٣) ومن ذلك ما كان على (فعل) فإنه على (يفعل) وليس لمصادر المضاعف ولا الثلاثي كله قياس يحتمل عليه ، وإنما ينتهي فيه إلى السماع أو الاستحسان. (٤) ، ومن ذلك

— أعني الاستحسان — أيضا قول الشاعر : أقاتلن أحضروا الشهودا

فألحق نون التوكيد اسم الفاعل تشبيها له بالفعل المضارع ، فهذا إذا استحساناً لا عن قوة علة ولا عن استمرار عادة. (٥) ، ومن الاستحسان قولهم : "صبية ، وقنية ، وعذبي ، وبلى سفر ، وناقة عليان ، ودبة مهيار ، ... فهذا كُلُّه استحسانٌ لا عن استحكام علة ؛ وذلك أنهم لم يعتدوا الساكن حائلاً بين الكسرة والواو لضعفه. (٦)

والشواهد على الاستحسان بنوعيه كثيرة ، فظاهرة الاختصار قائمة على الاستحسان . وما سبق يتأكد لنا أن الاختصار أخذ مشروعته من علاقته الوطيدة والعضوية بأصول النحو العرب ، وجاءت ظاهرة الاختصار متوافقة مع أصول النحو العربي .

(١) الأشباه (٥٢/١) .

(٢) الخصائص (٣٠٨/١) .

(٣) مسائل خلافية في النحو (١٢٠/١) .

(٤) الأفعال (١٠/١) .

(٥) الخصائص (١٣٦/١) .

(٦) الخصائص (١٣٧/١) .

الخاتمة

الحمدُ لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ ثم أمّا بعدُ

فدِرَاسَةُ اللغةِ العربيةِ أمرٌ واجبٌ ، وتأملِ سِمَاتِهَا والخَوْضُ في بُحُورِ جمالِهَا أمرٌ محبَّبٌ ، ولقد مَنَّ اللهُ تبارك وتعالى عليَّ بأنْ كانت دراستي هذه تدور حَوْلَ سِمةِ الاختِصارِ التي كانت ولا تَزَالُ مَقْصُودَ العَرَبِ والعَرَبِيَّةِ . وخلال هذه الدراسة عشنا معًا مع الاختِصارِ في اللغة العربية ، فَعَرَفْنَا به ، وَتَبَعْنَا ظهورَ المِصْطَلَحِ وَتَطَوُّرَهُ في الدَّرْسِ السَّخَوِيِّ لَدَى النُّحَاةِ العَرَبِ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بعد ذلك بُدْءَ مُخْتَصَرَةٍ عَنِ الدَّرَاسَاتِ المَعَاصِرَةِ حَوْلَ هذه الظَّاهِرَةِ . وَمِنَ الأُمُورِ الواجِبَةِ عَلَيْنَا أَنْ نَدْرُسَ وَنَتَّبِعَ الأسبابَ التي أَحْدَثَتْ هذه الظَّاهِرَةَ في لُغَتِنَا الطَّاهِرَةِ ، ولقد نَتَجَّ عَنْ تَرْيُّنِ ثَوْبِ العربيةِ بِرِوَعَةِ الاختِصارِ العَدِيدِ مِنَ النَتَائِجِ التي لم نُغْفِلِ الحديثَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا . ولم يَكُنِ الاختِصارُ في اللغة العربية ظَاهِرَةً اعتباطيةً ، وَإِنَّمَا حَكَمَتُهُ عِدَّةُ ضَوَائِبِ لغَوِيَّةٍ ذَكَرْنَا أَهْمَهَا في ثَنَايا بَحْثِنَا ، وكذلك تعرضنا للآثار اللغوية والنحوية التي ترتبت على بروز هذه الظاهرة في التقعيد النحوي .

ولقد شَبَّهْتُ هذه الظاهرة اللغوية المهمة بنهرٍ عذبٍ كَوْنَتْهُ رَوَافِدُ شَتَّى ؛ وَأَتَّخَذَ سَبِيلُهُ في اللغة العربية بَوَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ؛ وَتَجَلَّى على أبناء العربية ودارسيها بمظاهرٍ كثيرةٍ ذَكَرْنَا أَهْمَهَا ، وهي : (الإيجاز ، والحذف ، والاستغناء ، والاتساع ، والتضمين ، والحمل على المعنى) ، وَتَعَرَّفْنَا على العلاقات والروابطِ العُضُويَّةِ التي تربط بين الاختصار وهذه المِصْطَلَحَاتِ . ثم جاء الدور على الشواهد النحوية والصرفية التي تجلّت فيها هذه الظاهرة المشهورة الثرية ، فذكرنا كثيرًا منها ، وَحَلَّلْنَا بعضها ، وَتَعَرَّفْنَا على آراء النحاة والعلماء فيها ؛ دون وقفٍ على مدرسة لغوية أو نحوية بعينها ، ولم نُغْفِلْ رأيَنَا في كثيرٍ مِنْهَا . وبعد أن رَسَى فُلُكُ دَرَاستِنَا بعد دراسة شواهد الاختصار رأيت أَنَّهُ من المهم أنْ أقيس مدى مشروعية هذه الظاهرة اللغوية النحوية وذلك بعرضِهَا على أصول النحر ، وقد تَمَّ ذلك بفضلِهِ ﷺ وعونه .

* أَهَمُّ نَتَائِجِ الدِّرَاسَةِ :

أولاً : تَرَى الدِّرَاسَةُ أَنَّ سِمَةَ الاختصار كانت سبباً من أهم الأسباب التي من أجلها كرمنا الله ﷻ وكرمها بتزول القرآن على لسانها ؛ وقد دللنا على ذلك .

ثانياً : فَرَّقَت الدِّرَاسَةُ بين الاختصار وبعض مصطلحات التشابه كالحذف والإيجاز ؛ مما كان بعض العلماء يخلطوا بينها وبين الاختصار .

ثالثاً : وَضَعَت الدِّرَاسَةُ تعريفاً للاختصار مُستعينة بأقوال السابقين حوله .

رابعاً : أَكَدَت الدِّرَاسَةُ على تفوق اللغة العربية على غيرها من اللغات الأجنبية .

خامساً : أَكَدَت الدِّرَاسَةُ على تفوق الفصحى على اللغات المحلية والعامية والقطرية .

سادساً : جَمَعَت الدِّرَاسَةُ أكبر كمٍّ من المعلومات والفوائد حول الاختصار في اللغة العربية ؛ وذلك بِحُكْمٍ مجيئها آخرًا .

سابعاً : أوردت الدِّرَاسَةُ العديد من شهادات المُنْصِفِينَ من علماء الغرب والعرب حول اللغة العربية ومكانتها وخصائصها .

ثامناً : أَكَدَت الدِّرَاسَةُ على مشروعية الاختصار وأصالته في اللغة العربية ؛ وذلك بعد عرضه على ميزان أصول النحو العربي .

وبعد ، فقد حَقَّقَت هذه الدراسة بلا شكَّ العديدَ من الأهدافِ والناتجِ ، ذكرتُ أهمها فيما سبق ، ويُمكنُ للقارئ الكريم أن يَقِفَ على غيرها خلال قراءة الدراسة . وأسأل الله ﷻ أن أكون قد وفقت فيما ذكرت وسطرت ، وإن يكُ توفيقٌ فَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ العزيز الوهاب ، وإن يكُ تقصيرٌ فَمِنْ عِنْدِ نَفْسِي ، وأسأله سبحانه أن يجعل هذه الدراسة لبنةً بناءً في صرح لغتنا العربية الغالية ، وأسأله ﷻ أن ينفع بهذه الدراسة مَنْ شاء ﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا أَيُّسُّهُمَ مَا أَسْطَظَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ . [سورة هود ، الآية : ٨٨] .

دكتور : عبد الله جاد الكريم

فهرس أهم المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المصادر والمراجع المطبوعة

- ١— الإنتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ط دار الفكر ، بيروت .
- ٢— أساس البلاغة للزمخشري ، ط ٣ ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٨٥ م .
- ٣— أسرار العربية لابن الأنباري ، تح : بهجة البيطار ، ط المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٧ م .
- ٤— الأشباه والنظائر للسيوطي ، تح : فايز ترحيني ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- ٥— الأصول لابن السراج تحقيق : عبد الحميد الفتلي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٧ م .
- ٦— الأصول لتمام حسان ، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ م .
- ٧— إعراب القرآن المنسوب للزجاج ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٦ م .
- ٨— الإغراب لابن الأنباري ، تح : سعيد الأفغاني ، ط الجامعة السورية ، ١٩٥٦ م .
- ٩— الأمالي الشجرية لابن الشجري ، تح : محمود الطناحي ، مكتبة الخانجي ، ط ١ ، القاهرة ١٩٩٣ م .
- ١٠— الإنصاف لابن الأنباري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر ، (د . ت)
- ١١— أوضح المسالك لابن هشام ، تح : محمد محيي الدين ، ط دار الجيل ، بيروت ١٩٧٩ م .
- ١٢— الإيضاح في علل النحو للزجاجي تحقيق : د. مازن مبارك ، ط دار النفائس ، بيروت ١٩٩٨ م .
- ١٣— الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني ، تح : خفاجي ، ط دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٥ م .
- ١٤— الاختصار : د . أحمد عبد المنعم الرصد . القاهرة (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) .
- ١٥— الاشتقاق لعبد الله أمين ، القاهرة .
- ١٦— الاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي ، ط مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٠٨ م .
- ١٧— الاقتراح للسيوطي ، ط دار المعارف النظامية ، حيدر أباد .
- ١٨— البحث اللغوي لمختار عمر ، ط ٦ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٨ م .

- ١٩— البرهان للزركشي، تح: محمد أبو الفضل، ط دار إحياء الكتب، القاهرة ١٩٧٢ م.
- ٢٠— البيان في إعراب القرآن للكيري، تح: البحايي، ط الحلبي، القاهرة ١٣٦٩ هـ.
- ٢١— التوهم عند النحاة لعبد الله أحمد جاد الكريم، ط مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠١ م.
- ٢٢— الجنى الداني للمرادي تح فخر الدين قباوى، ط دار الآفاق، بيروت ١٩٨٣ م.
- ٢٣— حاشية الخضري، ط المطبعة الأزهرية، القاهرة ١٩٢٩ م.
- ٢٤— حاشية الصبان. ط الحلبي، القاهرة ١٣٦٦ هـ.
- ٢٥— حركة التعريب في العراق، د. أحمد مطلوب، بغداد، العراق.
- ٢٦— حروف المعاني للزجاجي، تح: توفيق الحمد، ط الرسالة، بيروت ١٩٨٤ م.
- ٢٧— الحيوان للحافظ، تح: عبد السلام هارون، ط الحلبي، القاهرة ١٩٦٦ م.
- ٢٨— خزانة الأدب للبغدادى، تح: عبد السلام هارون، ط الهيئة العامة، ١٩٧٩ م.
- ٢٩— الخصائص لابن جني، تح: محمد علي النجار، ط عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣ م.
- ٣٠— الدرس النحوي في القرن العشرين لعبد الله جاد الكريم، ط مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٤ م.
- ٣١— دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تح: خفاجي، ط مكتبة القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ٣٢— دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، ط الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٦ م.
- ٣٣— الرد علي النحاة، لابن مضاء، تح: شوقي ضيف، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢ م.
- ٣٤— سر صناعة الإعراب لابن جني، تح: حسن هنداوي، ط دار القلم، دمشق، ١٩٨٥ م.
- ٣٥— الشافية للرضي، تح: نور الحسن وزميله، ط دار الفكر، بيروت ١٩٧٥ م.
- ٣٦— شرح التصريح، لخالد الأزهرى، ط إحياء الكتب العربية، لقاهرة
- ٣٧— شرح الكافية للرضي، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٣٨— شرح المفصل لابن يعيش ط مكتبة المتنبي، القاهرة، ط عالم الكتب، بيروت، د. ت.
- ٣٩— شرح المقدمة الجزولية للشلوين، تح: تركي العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٤ م.
- ٤٠— شرح شذور الذهب لابن هشام، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة، سوريا ١٩٨٤ م.
- ٤١— شرح قطر الندى لابن هشام، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الفكر، القاهرة.
- ٤٢— الصاحبي لابن فارس، تح: السيد صقر، ط الحلبي، القاهرة ١٩٧٧ م.

- ٤٣- الصحاح للجوهري ، تح : أحمد عبد الغفور ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ٤٤- صحيح مسلم بشرح النووي ، ط الريان ، القاهرة ١٩٨٧ م .
- ٤٥- طبقات النحويين للزبيدي ، تح : محمد أبو الفضل ، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤ م .
- ٤٦- ظاهرة التخفيف لأحمد عفيفي ، ط الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٦ م .
- ٤٧- العدد في اللغة لابن سيده ، تح : عبد الله الناصر وعدنان الناصر ، بيروت ١٩٩٣ م .
- ٤٨- العربية لغة العلوم والتقنية لعبد الصبور شاهين ، القاهرة .
- ٤٩- العربية لغة عالمية : نشر الأمانة العامة للجامعة الدول العربية بالقاهرة ١٩٦٦ م .
- ٥٠- علم الدلالة لأحمد مختار عمر ، ط دار الثقافة العربية ، القاهرة .
- ٥١- علم اللغة لمحمود السعران ، ط دار النهضة العربية ، بيروت .
- ٥٢- العولمة والعولمة المضادة لعبد الوهاب المسدي ، مطابع لوتس بالفجالة، القاهرة ١٩٩٩ م .
- ٥٣- العين للخليل ، تح : مهدي المخزومي والسمارائي ، ط دار الهلال ، القاهرة .
- ٥٤- الفصحى لغة القرآن ، لأنور الجندي ، ط دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٢ م .
- ٥٥- الفصول المفيدة في الواو للعلائي، تح : حسن موسى ، ط دار البشير، عمان ١٩٩٠ م .
- ٥٦- فقه اللغة للنعالي ، ط مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٧ م .
- ٥٧- في الأدب الحديث ، لعمر الدسوقي ، ط ١ ، القاهرة .
- ٥٨- في بناء الجملة العربية لحماسة عبد اللطيف ، ط دار القلم ، الكويت ١٩٨٢ م .
- ٥٩- قضايا لغوية لكمال بشر ، ط دار الطباعة القومية ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٦٠- الكامل المبرد ، ط نمضة مصر ، القاهرة ١٩٨١ م .
- ٦١- الكتاب لسيويه ، تح : عبد السلام هارون ، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٧٧ م .
- ٦٢- الكشف للزمخشري ط : دار الكتاب العربي ، بيروت (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .
- ٦٣- كشف الظنون لحاجي خليفة ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢ م .
- ٦٤- اللامات للزجاجي ، تح : مازن المبارك ، ط دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥ .
- ٦٥- اللباب لأبي البقاء العكبري تح:غازي طليمات، دار الفكر، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
- ٦٦- لسان العرب لابن منظور المصري ، ط دار صادر ، بيروت .
- ٦٧- اللغة بين القومية والعالمية لستيفن أولمان ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٦٨- لمع الأدلة لابن الأنباري ، تح : سعيد الأفغاني ، ط الجامعة السورية ، ١٩٥٦ م .

- ٦٩- المثل السائر لابن الأثير ، تح : بدوي طبانة وأحمد الحوفي ، ط نخضة مصر ، القاهرة .
- ٧٠- المختصب لابن جني ، تح : علي النجدي وآخرين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٣٨٦هـ .
- ٧١- مختار الصحاح للرازي ، تح : محمود خاطر ، ط مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٥ م .
- ٧٢- المزهرة للسيوطي ، تح : محمد أبو الفضل والبحاوي ، ط دار الجليل ، بيروت .
- ٧٣- مسائل خلافة في النحو للعكبري ، تح : خير الحلواني ، ط دار الشرق العربي ، بيروت ١٩٩٢ م .
- ٧٤- مسند الإمام أحمد ، ط دار الفكر ، بيروت .
- ٧٥- المصباح المنير للفيومي ، ط المكتبة العلمية ، بيروت .
- ٧٦- المصطلحات العلمية في اللغة العربية . مصطفى الشهابي ، بيروت .
- ٧٧- مع القرآن الكريم لعلي النجدي ، القاهرة
- ٧٨- معاني القرآن للفراء ، تح : محمد علي النجار وأحمد نجاتي ، ط عالم الكتب ، بيروت .
- ٧٩- مغني اللبيب لابن هشام ، تح : مازن المبارك ، و علي حمد الله ، ط ٥ بيروت ١٩٧٩ م .
- ٨٠- المفصل للزمخشري ، تح : علي بو ملح ، ط ١ ، مكتبة الهلال ، بيروت ١٩٩٣ م .
- ٨١- مقاييس اللغة لابن فارس ، تح : عبد السلام هارون ، ط دار الجليل ، بيروت .
- ٨٢- مقتضب للمبرد ، تح : عبد الخالق عضيمة ، ط عالم الكتب ، بيروت .
- ٨٣- من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس ، ط الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٨٤- من قضايا اللغة العربية المعاصرة ، ط المنظمة العربية للتربية والثقافة ، القاهرة .
- ٨٥- المنصف لابن جني ، تح : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط الحلبي ، القاهرة ١٣٧٩هـ .
- ٨٦- موصل الطلاب لخالد الأزهرى ، تح : عبد الكريم مجاهد ، ط الرسالة ، بيروت ١٩٩٦ م .
- ٨٧- النحت في اللغة العربية محمد حسن عبد العزيز ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٩٠ م
- ٨٨- النحو والدلالة لحماسة عبد اللطيف ، ط ١ ، القاهرة ١٩٨٣ م .
- ٨٩- نزهة الألباء لابن الأنباري ، تح : محمد أبو الفضل ، ط نخضة مصر ، القاهرة .
- ٩٠- النشر لابن الجزري ، تح : محمد علي الضباع ، ط دار الكتب ، بيروت .
- ٩١- همع الهوامع ، للسيوطي ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

ثالثاً : الرسائل الجامعية :

- ١- الاتساع في الدراسات النحوية ،ماجستير لأحمد عطية المحمودي ، دار علوم القاهرة ١٩٨٩ .
- ٢- الحذف والتقدير في بنية الكلمة. رسالة دكتوراه لكمال سعد ، دار علوم القاهرة ١٩٩٣ م .
- ٣- الحذف والتقدير في كتاب سيبويه ، رسالة دكتوراه لفكري محمد أحمد سليمان ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٨٨ م.
- ٤- الحذف والتقدير لعلي أبو المكارم ، رسالة ماجستير ، دار علوم القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٥- الحمل علي المعني لأشرف مبروك ، رسالة ماجستير ، دار علوم القاهرة ١٩٨٩ م .

رابعاً : الدوريات والمجلات :

- ١- (الاختصار في الدراسات النحوية) للدكتور . ياسر حسن رجب في العدد (٢٦) من مجلة دار العلوم ، جامعة القاهرة ، جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ / أكتوبر ١٩٩٩ م (ص٧-٣٨) .
 - ٢- (الاشتقاق النحوي وأثره في وضع المصطلحات) ؛لمدوح خسارة،مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق العددان (٧١، ٧٢) السنة (١٨) ، "يوليو" ١٩٩٨ م - ربيع الأول ١٤١٨هـ .
 - ٣- (اللغة العربية وتحديات العصر) ، من بحث اعيد العزيز بن عبد الله ، منشور في مجلة "اللسان العربي" ، بعنوان : "" ، بالعدد الصادر في السنة ١٩٧٦
 - ٤- مجلة المجمع العراقي ٢٣ : ٩٠ - ٩١ .
 - ٥- مجمع القاهرة/ تقرير لجنة النحت/ مجلة مجمع القاهرة (٧ : ٢٠٣) ، (ج٧ : ٥١) .
 - ٦- مجمع القاهرة/ قرارات الدورة (١٤) / مجلة مجمع القاهرة ٧ : ١٥٨ .
 - ٧- مجمع دمشق العربي ، (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧ م) .
- خامساً : مواقع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) :

- ١- اللغة العربية وآراء المفكرين العرب والغربيين " لإدريس بن الحسن العلمي ، موقع "صوت العربية" ، بتاريخ ٣ / ٧ / ٢٠٠٦ م .

فهرسُ الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	الإهداء	٣
٢	المقدمة	٥
٣	المدخل (أسباب التأليف)	٩
٤	التمهيد (تعريف الاختصار لغة واصطلاحاً)	٢٣
٥	تطور ظهور المصطلح لدى النحاة	٢٥
٦	الاختصار عند المعاصرين	٣١
٨	الفصل الأول (روافد الاختصار ومظاهره ووسائله)	٣٦
	أولاً : الاختصار والإيجاز	٣٦
	ثانياً : الاختصار و الحذف	٣٨
	ثالثاً : الاختصار و الاستغناء	٤٣
	رابعاً : الاختصار و الاتساع	٤٥
	خامساً : الاختصار و التضمين	٤٧
	سادساً : الاختصار والحمل على المعنى	٤٩
٩	الفصل الثاني (أسباب الاختصار ونتائجه وضوابطه)	٥١
	أولاً : أسباب الاختصار	٥٢
	ثانياً : نتائج الاختصار	٦٠
	ثالثاً : ضوابط الاختصار	٦٧
	رابعاً : آثار الاختصار في التقعيد النحوي	٧١

تابع فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١٠	الفصل الثالث (شواهد الاختصار في أبواب النحو والصرف)	٧٣
١١	أولاً : الأبواب النحوية.....	٧٤
	١- باب الكلمة والكلام.....	٧٤
	٢- الإعراب والبناء.....	٨٠
	٣- النكرة والمعرفة.....	٨٢
	٤- باب : المبتدأ والخبر.....	٨٦
	٥- باب (كان) وأخواتها.....	٨٩
	٦- باب (ظن) وأخواتها.....	٩٠
	٧- باب (إن) وأخواتها.....	٩١
	٨- نائب الفاعل.....	٩١
	٩- التنازع.....	٩١
	١٠- الاستثناء.....	٩١
	١١- التمييز.....	٩٢
	١٢- العطف.....	٩٣
	١٣- البدل.....	٩٣
	١٤- النداء.....	٩٣
	١٥- الاستفهام.....	٩٤
	١٦- الشرط.....	٥٩

تابع فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
	١٧— أسماء الأفعال	٩٦
	١٨— الممنوع من الصرف	٩٧
	١٩— العدد	٩٧
١٢	ثانيًا : الأبواب الصرفية.....	١٠٠
	١— الميزان الصرفي	١٠٠
	٢— الفعل بين التعدي واللزوم	١٠٠
	٣— الفعل بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول	١٠١
	٤— المصدر واسم المصدر واسم الزمان والمكان	١٠١
	٥— صيغ المبالغة	١٠٢
	٦— أسماء الزمان والمكان	١٠٢
	٧— أفعال التفضيل	١٠٣
	٨— اسم الآلة	١٠٣
	٩— المذكر والمؤنث	١٠٤
	١٠— المنقوص والمقصور و الممدود	١٠٤
	١١— جمع التكسير	١٠٤
	١٢— التصغير	١٠٥
	١٣— النسب	١٠٦
	١٤— الإدغام	١٠٦

تابع فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١٣	ثالثاً : الأبواب اللغوية المشتركة	١٠٨
	١- حروف المعاني	١٠٨
	٢- المشترك النحوي	١٠٩
	٣- إقامة المفرد موضع الجمع	١١٠
	٤- النحت	١١٢
	٥- الحصر بـ (إلا)	١١٥
	٦- الكناية	١١٦
١٤	الفصل الرابع : (الاختصار في ميزان أصول النحو)	١١٧
	أولاً : الاختصار والسماع	١١٨
	ثانياً : الاختصار والقياس	١٢١
	ثالثاً : الاختصار والإجماع	١٢٨
	رابعاً : الاختصار والاستحسان	١٣٢
١٥	الخاتمة	١٣٥
١٦	فهرس المصادر والمراجع	١٣٧
١٧	فهرس الموضوعات	١٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ